نزيف داخلي

عنـوان الكتـاب: نزيـــف داخلـــي
التـأليـــف: ميشـــيل منيـــر
مراجعة وإخراج فني: عمـرو وسـالم سـواح
تصـميم الغـلاف: بـــلال محمـــد
رقـم الإيـداع: 2019/ 17932
التـرقيم الـدولي: 978-977-6639-61-4
الناشـــر: دار تويتة للنشر والتوزيع
www.facebook.com/Tweetforpublish
tweetpublishing2017@gmail.com
٧ش محمد أبوالعطا- محطة العريش-فيصل- الجيزة
رئيس مجلس الإدارة: م/ أحمد عبد العزيز
المدير العام: أ/ رشا العمري
01017799799
01225762066

#غرّد_للعالم

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة

نزيف داخلي

حكايات ليلة واحدة
داخل عنبر طوارئ مستشفى

ميشيل منير

إلى/ عادل فهيم

العطاء دون مقابل.. المعلم الفاضل

والأب الحكيم ..الروح البسيطة.. القدوة

شكرًا باسم جيل كامل أنا واحد منهم.

فولتارين

في درس مهم أوي الحياة بتعلّمه، إن في ناس تدخل حياتنا تقعد فترة مش قليلة.. ونحبهم.. فيطلَعوا سلاح أبيض شفاف جوه ابتسامة.. ويقطعوا حتة من روحك وتفضل تنزف.. هو ده بقى النزيف الداخلي ....

وصف الصورة بالإحساس

في هذه الليلة الباردة.. داخل عنبر طوارئ أحد المستشفيات.. تدور مجموعة من الحكايات.. يخيم على الطوارئ من الخارج سكون المقابر.. وهو سكون عظيم، وله دلالات أقوى من أي كلمات من الممكن أن تقال.. أقوى من صراخ أمّ اكتشفت منذ قليل أن ابنها فارق الحياة.. يتقهقر كل الموجودين.. وأخذ اليأس يضرب الجميع بكل قسوة حتى جلس الجميع أرضًا.. من الواضح أن هذه الليلة مليئة بحكايات في حالة نزيف داخلي بطعم اليأس والأمل.. اللقاء والوداع.. الحقيقة والكذب.. الموت والحياة.. والرضا بالغضب.

شخص خارج من الطورائ يمسك الباب الحديد.. إنه العم فتحي ـ أبو أمنية

- إحساس مالوش وصف.. عالم منفرد بكل تفاصيله .. إنت أكيد فاهمني إن الزحمه دي تحديدًا زحمة موت.

المكان من الداخل موحش.. صالة كبيرة في الطول والعرض.. مفروشة أسرة.. يفصل كل سرير عن الآخر ملاءة سوداء تحمل رائحة كريهة.. على اليمين أسرة الحريم وعلى اليسار أسرة الرجال.. ولكن عندما يشتد الازدحام يصبح المكان واحدًا.. داخل الصالة الكبيرة ممرات معتمة ترسم خيالات مفزعة.. الحوائط داكنة يغلب عليها البقع في الجزء الأسفل .

في الحائط مسامير.. في حالة الازدحام يجلس المريض أرضًا ويعلق المحلول في المسمار.. كان بلاط الأرضية أبيض وأصبح بمرور الوقت أخضر.. ما إن تضع قدمك على الأرض حتى ترى بقع الدم الثابتة وكأننا في مجزر ذبح آلي.. خيوط العنكبوت ترسم لوحات في سقف الطوارئ.. في الجانب غرفة هي نقطة شرطة صغيرة وهي مسئولة عما يحدث داخل الطوارئ.. وفي الجانب الآخر غرفة لقطع التذاكر.. في آخر صالة الطوارئ شبابيك أشبه بشبابيك السجون تطل على حديقة مهملة منذ زمن أصبحت مخزنًا للنفايات.. هي مصدر تصدير الناموس والحشرات للطوارئ.. الجميع يجري من حولك دون أن تفهم سر الجري.. صراخات متفرقة أغلب الوقت.. وغالبًا ما تتردد هذه العبارات..

• إبقى خلي بالك من نفسك.. إقطع تذكرة .(**شتيمة**). هتجيب الطلبات من الصيدلية .. الراجل ده بيموت . إلحقونا.. منكم لله .. وأنا مالي... يلعن أبوكم ولاد كلب.. خد معاك فلوس بزيادة.. الأشعة بايظة (**شتيمة أكتر**) خد مُسكن.. إنتوا عالم زبالة . دكتور، إنت مش هتكشف .. إنتوا إيه، كفرة.. سكاكين في بطني.. أنا ممكن أكسر المستشفى عليكم.. إنت قليل الأدب ومش محترم.. حد يحس بالوجع.. بموت.. عليَّا الطلاق لو ما حد جالي هنا هكسر الخرابة دي عليكم.. يا رب ملناش غيرك.. علّق محلول.. عنده جلطة تعالى بكرة ..(**شتيمة لا تتوقف**) . روح إعمل التحاليل دي بره (**شتيمة وضرب**).. حد ينادي الأمن.. أنا مش هامشي من هنا إلا على جثتي.. ماليش دعوة.. بسرعة هَيموت.. آآآآآآه **هي لوحة مكتملة القبح**.

إنت كل حواسك مش مبسوطة.. بتشم ريحة غريبة.. خليط من بنج وفنيك ومطهر وعرق.. بتسمع صريخ ووجع وساعات شتيمة.. بتشوف صور صعبة مناظر بتطَبع في ذهنك لفترات.. خايف تلمس أي حاجة بإيدك علشان العدوى.. طعم أي حاجة جوا الطوارئ متغير.. تفضل قلقان مخنوق خايف تعبان من كتر الزحمة.. وميكس من كل المشاعر المزعجة.. تحس في المكان ده إن الناس كلها بتعمل بروفة جينرال على الموت.. تفتكر أن وسط الشوك ده هيطلع ورد.

- الورد ما بيطلعش غير في وسط الشوك !

يأتي الألم راكبًا حصانًا.. ويطل الشفاء سائرًا على قدميهِ

(حكمة إنجليزية)

باراستامول

الحياة مش البنت الجميلة إللي في خيالك، ولا المسرحية إللي كلها ضحك، ولا الفيلم إللي كله أحداث حلوة، ولا الحدوتة إللي بتنتهي بنهايات سعيدة، ولا هي المفاجآت المفرحة.. فيه كمان أفلام تراجيدي، وفيه كمان نهايات حزينة، ومفاجآت مؤلمة.. كل الفكرة.. هو ترتيب الأحداث بالنسبة لكل واحد فينا.. مختلفة.. بس الأكيد إنك هتجرب كل حاجة في الحياة.. بالمناسبة .. البنت الجميلة هاتشوفها فجأة.. مش جميلة .

انتحار أمنية

من أمام العناية... خالات أمنية وأبناؤهن والخال محمود.. الجميع في حالة صمت يشبه قطيع الأغنام الظمآن.. الجميع صامت..

يقطع هذا الصمت خالتهم أم هالة: أبوها الخمورجي السكري هو السبب.. إفتكروا من ١٥ سنة فاطمة أختي ماتت إزاي! بنفس الطريقة.. الجيران دخلوا عليها بتقول بطني.. سكاكين في بطني.. وقبل ما توصل المستشفى كانت ماتت.. وأمنية إللي نايمة على سرير مكسور تحت في الطوارئ بين الحياة والموت.. لولا الدكتورة/ سعاد.. إللي ربنا وقفهلنا مكناش هنلاقي سرير هنا في العناية.. عملت أكتر من مشكلة تحت في الطوارئ.. علشان خاطر أمنية.. الناس تحت في الاستقبال بيدوسوا على بعض.

(الدكتورة سعاد طبيبة امتياز.. بمجرد أن تبتسم في وجهك تشعر براحة.. تخدم الجميع بدون أي مقابل.. تجبر الجميع على احترامها.. نموذج لمهنة الطبيب الذي يشعر بآلام المريض النفسية قبل الجسدية.. تصنع الرحمة.. ولا تنتظر الشكر من أحد.. هي التي استلمت أمنية في حالة سيئة.. وقامت بعمل المطلوب وحجزتها في غرفة العناية المركزة بأعجوبة).

(خالتها الصغيرة / إسراء.. جالسة على الأرض المتسخة تحكي):

- أنا لما وصلت عند البيت كانت أمنية بترجَّع حاجات سودة.. بصت في عنيَّا وقالتلي: أنا بموت يا خالتو بموت.

دون أن أشعر صرخت عددًا من الصرخات المتتالية.. جاء جميع سكان المنطقة.. أمسكت في الجميع أرجوكم أنقذوها.. اتصلت بمحمود وأم هالة وأسماء.. كان البيت قد ازدحم بكل سكان الشارع.. دخل رجل من وسطهم وحمل أمنية.. وقال إنه في الطوارئ.. توقفت لدقائق وكأن أحدًا صفعني على وجهي.. تمنيت أن يكون كل ما حدث كابوسًا من كوابيسي.

خالتها أسماء وهي أكثر قلقًا وغضبًا.. أكتر واحدة بتكره فتحي أبو أمنية:

- أمنية واخدة طيبة وحنية أختك فاطمة.. الله يرحمها.. ربنا يطمني عليكي يا أمنية يا بنتي وتطلعي من هِنا على بيتي تعيشي مع بناتي مترجعيش للحيوان أبوكي.

صمت.. دعاء.. هدوء.. يلتفت الجميع على صوت محمد جمال ينهال سبًّا في أحد الممرضين، وبعدها ينزل إلى العنبر ويعود الصمت.. محمود يقطع الصمت.. أول مرة في الشتا السنادي تمطَر بالشكل ده.. الشوارع غرقانة

سكون تام يخيم على المكان.. صوت المطر شديد.. في آخر الطرقة يقف فتحي أبو أمنية مرتديًا تي شيرت بنصف كُمٍّ وبنطلون ترنج وشبشب حمام.. ممسك بيده علبة سجائر وكبريته وهاتفًا جوَّالًا قديمًا.. رجل شكله مثير للقلق.. متوجع وقلق على أمنية ولكنه يخشى الذهاب إليهم وكأنه أرنب بري عطشان يخشى مجموعة من الكلاب المسعورة..

في الجانب الآخر يلتفت خال أمنية وخالتها إلى فتحي.. يهم شباب العائلة بضربه.. ولكن خالهم محمودًا يرفض..

يمر بجانب فتحي ممرض وهو العم محمد، يسأله عن حالة أمنية ولو ينفع أشوفها؟..

كان عم محمد مخنوقًا من السجائر.

عم محمد: إطفي السيجارة.. إنت في مستشفى.. الزيارة ممنوعة..

يجلس فتحي على الأرض في وضع القرفصاء، يرفع رأسه فيجد أم هالة:

- جاي تعمل إيه يا فتحي ؟ جاي تطمن ماتت زي أمها ولا لسه؟

- فتحي في اندهاش: أنا؟!

- جاي ليه ؟.. تفتكر أمنية لو شافتك هتفرح؟ تفتكر إنت أصلًا حاجة تفرَّح حد..

من انفعال أم هالة تأتي إسراء وأسماء لأختهما..

تندفع أسماء: هو الخمورجي الحشاش ده بيعمل إيه هنا؟.. قُلّنا قتلت أمنية إزاي؟ أكيد فضلت تخنق عليها لغاية ما انتحرت.

يأتي شباب من العائلة.. تتعالى الأصوات.. الجميع يتكلم بانفعال.. محمود خال أمنية هو فقط مَن يدافع عن فتحي..

أسماء تمسك فتحي من رقبته: تعرف لو أمنية حصلها حاجة.. أنا إللي هموتك..

يخرج عم محمد في غضب: الزحمة دي مالهاش لازمة.. لولا إن الجو بيمطر برا كنت رمتكم في الشارع.. لو سمعت زعيق تاني هطلعكم كلكم برة.. شوية همج.

صمت - نسمع صوت المطر يزداد - محمود يبعد شباب العائلة بشق الأنفس.

يظهر في الممر شاب وسيم، هو مصطفى الذي يريد أن يتزوج من أمنية، يتقدم خطوة ويؤخر خطوتين.. في نهاية المطاف جلس بعيدًا عن الجميع..

محمود للشباب في حزم: مش عايز أسمع صوت حد فيكم.. إيه.. أنا واقف.

ينظر في وجه فتحي المهزوم: إيه إللي حصل يا فتحي؟ عايز أفهم؟

فتحي لا يرد.. شعر أنه يواجه الألم وجهًا لوجه.. لم يخطر بباله للحظة أن أمنية ستحاول الانتحار.. فكل الآباء أحيانًا يرفضون طلبات الأبناء.. لكن نحنُ الآن أمام الحقيقة المؤلمة ـ أمنية في حالة خطرة دخلت على إثرها العناية المركزة.

بعد فترة نظر إليهم: عايزة تتجوز من عيل في كلية الهندسة -اقترب مصطفى ليسمع- لسا في رابعة جامعة وتعيش معاه في بيت أبوه لغاية ما تفرج.. بحجة إني أنا ماعييش أصرف عليها هي وأختها الصغيرة... قولتلها مالكيش دعوة ـ أنا صنايعي والحمد لله بكسب ومعايا فلوس .

أسماء أكثر غضبًا: معاك فلوس علشان تصرفها على النسوان والمخدرات والزفت.. أمنية انتحرت قدام عينيك ولا همك.. عمرك شوفت حد بينتحر بيشرب إزازة سم كاملة غير لما يكون قرف وجاب آخره.. إنت خرا.. لولا إسراء شافتها بترجع أسود كان زمانها ماتت.. كنت سيبها تتجوز إللي بتحبه ـ مش كفاية حظ أمها وقع فيك.

محمود ينظر بغضب إلى أخته أسماء ثم ينظر في هدوء إلى فتحي مشيرًا إليه أن يكمل حديثه.

فتحي: راجع من الشغل معييش فلوس حتى أجيب غداء.. أمنية واقفة في نص الصالة.. وزعقت أنا عايزة أتجوز مصطفى، لو رفضت هموِّت نفسي.. قربت منها وأنا كاتم غيظي.. نتكلم في الموضوع ده بعدين.. زعقت تاني.. لو ماتجوزتش مصطفى هموت نفسي.. بعد شوية لقيت أختها الصغيرة بتقولي أمنية شربت الإزازة دي.. دخلت لقيتها بتصرخ من الألم وماسكة بطنها.

وضع مصطفى يده على رأسه.

أكمل فتحي: جريت أشوف إسعاف أو عربية.. أو حد أستلف منه فلوس.

ثم صمت.. شعر بأن أمنية تلقنه درسًا قاسيًا بهذا التصرف ... تارة أنها ابنته.. وتارة أخرى جعلته يواجه نار العائلة.. بينما تنهمر دموع مصطفى قلقًا على حالة أمنية.

أحمد.. أحد شباب العائلة المتعلم.. عاقل إلى حد كبير.. متزن.. هو يدرس في إحدى الجامعات الخاصة.. دخلها عن طريق المنحة المجانية.. يهمس في أذن نورا ـ بنت خالته.. هي طالبة في كلية الحقوق.. جامعة القاهرة.

أحمد: عمرك شفتي حد دخل هنا وطلع سليم؟ أنا مش مطمن وحاسس إن فيه حكاية كبيرة بس أنا مش حابب أتدخل.. إنتي عارفة إن عيلتنا مش ملايكة ولا عم فتحي راجل شيطان.. سيبك إنتي..! إنما طيبة القلب والحنية بتاعت خالتك أسماء من إمتى- تطبع على وجهها ابتسامة بطعم الاندهاش-.

تمر الدكتورة سعاد.. تبتسم للجميع.. يقطع طريقها الدكتور طارق يبحث عن الدكتورة رضوى.. تخبره سعاد بأن رضوى في صالة الاستقبال فيخرج مندفعًا.. تنادي سعاد على طارق لتخبره أن إسلام الذي وصل في حادث الميكروباص توفي منذ قليل.

أسماء في قرف تحاول أن تمسك نفسها: إنت وصلتها لآخر حل. انتحرت.. إنت لا يمكن تكون بني آدم.. طول عمرك كداب ..عارف لما المطر إللي نازل من السما يطلع من تحت الأرض تبقى إنت صادق.. إنت بالظبط زي الكلب إللي بيعض من غير ما ينبح !

فتحي: أنا مهما قُلت.. قلبكم كله زفت وزبالة من ناحيتي.. بِركة من الوحل.. خصوصًا إنتي يا أسماء.. لما إنتي شايفاني شيطان أوي كدا ليه بعد ما أختك ماتت كنتي بتكلميني كل يوم وتجيني عند الورشة؟.. كام مرة قولتيلي إني راجل جدع.. كام مرة قولتيلي عامل إيه لوحدك.. أنا صعبان عليا البنات.. كام مرة قولتيلي مش ناوي تتجوز واحدة بنت حلال تربي معاك البنات.

بغضب وصوت مرتفع كأسد جائع: كام مرة قولتيلي إتجوزني يا فتحي؟

أسماء تندفع بكل قوة لتضرب فتحي.. وكأن أحدهم أشعل بها النيران: يا حيوان يا إبن الكلب أنا أتجوز برميل زبالة زيك!.. أنا أغلط غلطة فاطمة أختي؟

تنفك الطرحة من على رأسها.. تنظر إلى الأرض.. إلى أي شيء لتضربه به.. تحاول الوصول إليه.. ولكن إسراء وأم هالة تمسكان بأسماء.. ومحمود يبعد فتحي.. أسماء تبعد الجميع.. وتقف أمام فتحي تنظر إليه.. وترفع رقبته لأعلى وكأنها أفعى أناكوندا.. تبصق في وجهه.. فتحي يمسح وجهه ويصمت خوفًا من شباب العائلة المتحفز لضربه.

أم هالة تقترب من فتحي متماسكة عن ضربه: تعرف يا فتحي البنات دول إتربوا إزاي؟ وكبروا إزاي؟ هو إنت هتعرف إزاي وإنت مسطول على طول مع الستات الشمال.. تعرف إن أمنية مانتحرتش من كام ساعة! أمنية انتحرت من يوم ما فتحت عينيها على الدنيا وشافت أبوها بالشكل ده!

فتحي: إنتوا معلقينلي المشانق ومستنيني أقع تحت رجليكم.. تعرفوا إيه عني وعن بناتي من أكتر من ٣ سنين.. بلاش زفت.. أنا أنضف منكم كلكم.. أنا لو ساكت فعلشان محمود وفاطمة الله يرحمها.

يقف فتحي منهارًا.. أحمد غير راضٍ عن صمت خاله محمود ويقف وسط الجميع وينادي طالبًا.

أحمد : صلوا على النبي يا جماعة إحنا كلنا عايزين نطمن على أمنية.. مالوش لازمة الكلام.

التقط الجميع الأنفاس.. تتحمس نورا.. تطلب من خالها محمود: ننقل أمنية مستشفى تاني ومش مهم الفلوس.. هنلم من بعض..

وافق كل شباب العائلة.. نحنُ لا نفعل شيئًا هنا غير أننا نتفادى طعنات الناموس.. بينما أمنية تواجه مصيرًا مجهولًا ..

لكن خالهم محمود طلب منهم الانتظار قليلًا..

يمر الدكتور وليد قصير القامة النحيف.. نورا تسأل عن حالة أمنية.

الدكتور وليد: والله أنا مش متابع الحالة، هي مع دكتورة سعاد.. خمس دقايق وهتطلع.. هي مع بتوع الحادثة وهاتيجي تمر تاني.. أنا كنت طالع هنا أدور عليها.

إسراء الأكثر صبرًا وهدوءًا من أخواتها: تخيل إنت عامل زي إيه يا فتحي؟ زي المستنقع.. كل ما تتحرك المية.. تطلع ريحة وحشة وتجيب ناموس.

فتحي: إنتوا عيلة قذرة أنا بكرهكم كلكم.. وبكره عيالي كمان.. علشان بيخلوني أشوف أشكالكم إنتوا مش ملايكة.. فوقوا أنا عارف كل حاجة ومش عايز أتكلم.. تحبوا أفتح دولاب الماضي؟ كل واحد فيكم له عندي شماعات كتير. نفتح ونلبس.. وممكن كمان أطلع الحكايات عريانة من غير هدوم.. بس أنا عندي أصل وهاحط جزمة في بُؤِي وهاسكت.

دكتورة سعاد في حزم: أنا حجزت أمنية هنا علشان حالتها صعبة وإنتوا لازم تفهموا كده.. بعد إذنكم كفاية زعيق الناس بتشتكي منكم.

أحمد: مافيش أب مهما كان يحب إن بنته تنتحر.. أنا واثق إن بنتك بتحبك وإنت بتحبها بدليل الدموع إللي في عينيك.

يجلس فتحي على الأرض ويضع رأسه بين قدميه ويبكي.. يسود الصمت.. محمود يحضن فتحي.. بمجرد أن يحتضنه ينفجر فتحي في البكاء..

تنظر إليه الدكتورة في عطف: بعد إذن الجميع ممكن الصوت.. ونأجل المسائل العائلية للبيت.

أحدهم من وسط الزحام يسأل: هِيَّا أمنية عاملة إيه؟..

تنظر إليه الدكتورة في يأس.. تتغير طبقة الصوت والملامح.. يقترب مصطفى أكثر ليسمع ما تقوله الدكتورة: إن شاء الله خير.. دعواتكم ليها.

سكون للحظات.. جميع الموجودين تتغير ملامحهم..

محمود ينظر للجميع في رضا: الحمد لله على كل شيء.. إن شاء الله خير.

تنظر إسراء إلى فتحي وتتكلم بصوت منخفض: بيحس أوي وبيعيط.

هذا النوع من الضرب بالكلام أقسى بكثير من ضرب اليد..

فتحي يكلم الجميع: واضح إنكم مش عايزين تفهموا إني ماليش دعوة.. أنا مستعد أروح القسم أقول كده.. كفاية أرجوكم.. أمنية في خطر وإنتوا مش فاهمين حاجة.

يهمس فتحي لنفسه: يا رب فكها من عندك وعديها على خير مش علشان خاطري علشان خاطر أمنية.

يشعل فتحي سيجارة.. صوت الريح عالٍ.. أسماء ما زالت منهارة.. في حالة غضب عارمة.. في انتظار الانتقام من فتحي .. نظرات متبادلة أقوى من طلقات الرصاص..

ينظر فتحي إلى المطر ويكلم نفسه: من كام سنة يا أمنية وألوان الدنيا بتقل بالتدريج.. مش فاضل منها غير الأسود الفاتح.. طب قوليلي هاينفع أروح البيت من غيرك ... من وإنتي عندك ٣ سنين وأنا بستنى أروح أفتح الباب علشان تاخديني في حضنك زي العيل الصغير.

يقطع النقاش الداخلي هشام.. يسأل فتحي.

هشام: لو سمحت يا باشمهندس هما إللي جايين في حادثة الميكروباص هِنا؟

فتحي: ماعرفش

هشام: أمال هما قالوا إنهم هِنا ليه؟

فتحي: يا سيدي أنا مالي هو أنا ناقص هم.. ماعرفش.. إسأل تحت في الاستقبال .

تمر الدكتورة سعاد.. تعترض أم هالة طريقها.. وتطلب من الدكتورة أن تدخل لترى أمنية بسرعة..

الدكتورة طيبة القلب تنظر مبتسمة: بس مش كلكم مع بعض.. واحدة واحدة.. ومن غير صوت.

تدخل أم هالة مسرعة للعناية.. بينما يقف الجميع خارجًا.

أسماء تنظر إلى فتحي تتحرك إليه، أسماء تأخذ نفسًا عميقًا.. تفرك يديها.. نظرات أسماء تؤكد أن المعركة مع فتحي لم تنتهِ: إللي إنت قولته من شوية يا كداب.. ماحدش هيصدقه.. برغم إنه حصل.. وكنت غلطانة، وربنا أنقذني منك (فتحي ينظر إليها ولا يرد) عارف أختي سابت كل حاجة في الدنيا علشانك وعاشت معاك في كل تفاصيل فقرك وقرفك.. كانت بتحبك.. ماعرفش على إيه؟ وإنت ماعندكش أي ميزة !. ضحكت على قلبها الأبيض اللي زي الحليب.. وماتت فطيس زي ما الفراخ بتموت في المزارع.. ومانعرفش بسببك ولا بسبب مين ؟

فتحي يشعل سيجارة من سيجارة أخرى.. وينظر إليها.. نظرة المنتصر: إنتي عارفة كويس إني أعرف أرد عليكي.. بس أطَّمِّن على أمنية.

أم هالة تقف أمام العناية تنادي إسراء وأسماء ويدخلن كالثعالب.. يذهب فتحي ليدخل إلى أمنية.. تقف أمامه أم هالة... تمنعه في ثبات.. تنظر إليه باحتقار.. فتحي يحاول السيطرة على أعصابه..

نسمع صوتًا من أم هالة من خلف الباب: مش هتدخل يا فتحي ولا هتشوف أمنية.. إنت ماتستاهلش تكون أب.. محمود ـ خد فتحي صاحبك بتاع الجامعة.. إللي دخل بيتنا وأخد فاطمة وموتها.

فتحي يقف منفجرًا في الجميع بأعلى صوت.. وكأنه هرقل أو محارب طروادي: كفايه بقى إنتوا بتكلموا حيطه.. إرحموني.. أنا عايز أطمن على بنتي وبعدها هقولكم كل حاجة بتحصل معانا.. إنتوا فين من ٣ سنين تعرفوا عننا إيه ؟.. ولا هو فتحي وقع تعالى ننتقم منه في موت أختنا.. إنتوا عارفين كويس إن أنا وفاطمة كنا بنموت في بعض بدليل إني ماعرفتش أتجوز بعدها.. محمود إبعد إخواتك البنات عني أبوس إيدك علشان خاطر العيش والملح.. أنا لغاية دلوقتي ابن أصول ومش عايز أغلط فيهم.

يفقد فتحي أعصابه.. يضرب بالسكون عرض الحائط ويخبط على الباب لكسره.. بعض شباب العائلة يمسكون بفتحي ليضربوه.. يتدخل محمود ليمنعهم.. بينما في الخلفية أصوات زعيق وتراشق بالألفاظ الخارجة.. يتبادل كل منهم الألفاظ التي لا يستحق أحد أن يسمعها.. ينفجر فتحي في تفاصيل عائلية محرجة.. يتحمس أحد الشباب وينهال على فتحي بالسب وفي نهاية الأمر يصفع الشاب فتحي على وجهه فيسكت الجميع..

يندفع محمود لرد اعتبار فتحي.. ولولا محمود لقتل شباب العائلة العم فتحي ...يتدخل أمن المستشفى بصحبة عم محمد.. يجرجرون فتحي في الممر إلى الخارج..

يبكي فتحي كطفل يتيم: أبوس إيدك مش هعمل صوت تاني أنا آسف.. بس أشوف أمنية .. لو عملت أي حاجة تاني طلعني بره.. والله ما هافتح بُقي تاني.. أبص عليها وهامشي.

ينظر إليه عم محمد في عطف بعد أن قطعت ملابسه فيتركه.. كانت أسنان فتحي تنزف دمًا من أثر ضرب الشاب له.. جلس مكلمًا نفسه ـ ساندًا ظهره على الباب المقفول.. لا يستطيع إيقاف دموعه.. ولن يفعل البكاء شيئًا الآن.. فقد فات الأوان.. سال المخاط من أنف فتحي فمسحه في ملابسه.. وكان الجميع يقسون على فتحي بنظرات حادة.. فنظر إليه صديقه محمود وكأن لسان حاله يقول.. لماذا دفعتها إلى الانتحار..

في الجانب الآخر يجلس مصطفى ولم يتدخل في الشئون العائلية.. فلا أحد يعرفه سوى فتحي.. وقد كان كل ما يهمه أن يطمئن على حالة أمنية.

عم محمد: أنا مش ناقص قرف وخناق من أول الليل.. جايين تتخانقوا هنا وتعملوا رجالة.. ماتربوا بنتكم اللي شربت سم.. علشان بتحب واحد.. ده إن ماكانوش ضاربين ورقتين عرفي والعملية ماشية من زمان!

قام أحد شباب العائلة.. لضرب عم محمد، ولكن أحمد منعه حتى لا تحدث أي صدامات أخرى.. يطرد الجميع بسببها ونجلس في الخارج وسط الأمطار الغزيرة.. ولكن أحمد كان منفعلًا.

أحمد: حالة أمنية مسئوليتنا كلنا.. إحنا فين من سنتين مانعرفش حاجة عن عم فتحي ولا بناته كلنا بنحب أمنية.. إحنا فين من سنين.. كفاية.. نتكلم لما أمنية تخرج بالسلامة.. شكلنا حلو كدا وإحنا بناكل في بعض.

من داخل غرفة العناية.. أسماء وأم هالة وإسراء ينظرن إلى أمنية.. وهي تفتح عينيها وتغمضهما.. كل منهن تبتسم.. كانت نائمة في وضع ثابت صاحبة الملامح البسيطة.. شعرها ناعم.. وكان وجهها شاحبًا.. تتنفس ببطء.. في رقبتها سلسلة أمها.. نفس السلسلة في رقبة خالاتها .. تلبس بلوفر أبيض وبنطلون أسود.. أصبحت نحيفة جدًّا.. وكان رأسها في وضع ثابت فتقدمت أم هالة وقبلت رأسها.. تحركت رموشها الطويلة وفتحت عينيها ببطء.. وكأنها وردة تتفتح في الربيع.. تحمل في عينيها ضعف فاطمة أمها.. وصلابة فتحي أبيها.. وسرًّا لم تفصح عنه.. ولكنه ظهر على ملامحها.

أم هالة: ليه عملتي كدا يا أمنية.. عايزة تموتي كافرة.. ليه يا بنتي؟ كنا هانموت عليكي..

أمنية: فين بابا؟

أسماء: لسا عايزة تشوفي الجربان دا تاني؟.. إنتي كنتي هاتموتي.

أمنية: ما أنا كدا كدا هاموت ـ أنا متأكدة.

أم هالة: التاريخ بيعيد نفسه.. أمك زمان حاربت الدنيا كلها علشان تاخد الراجل إللي بيزعق برا ده.. وإنتي النهاردة بتشربي زفت علشان طالب في كلية الهندسة.

أمنية: أنا مش هاعيش تاني.. مجرد كام أسبوع وكل شيء هينتهي ببساطة.. ولا هاتجوز واحد أنا صعبانة عليه.

إسراء تجلس على حرف السرير تضع يدها على شعر أمنية الناعم.. لو الواد دا بيحبك بجد هاتتجوزيه غصب عن عين أبوكي .

أمنية: أنا أصلًا مش عايزة أتجوز.. برغم إني بحبه.. كل يوم بيعدي بقرب من خط النهاية خطوة.. والنهاردة كنت باحاول ألمس الخط وماعرفتش.. لو هاقدر أحاول تاني هاحاول.

يقتربن هن الثلاثة من السرير.. إسراء تمسح دموع أمنية.. أسماء تجلس تحت رجليها.. وأم هالة على الجانب الآخر تبكي حال أمنية .... تنظر إليهن أمنية.. في حب ولا أحد يتكلم.

أمنية: إسمعوني.. لأني مش قادرة أتكلم.. أنا تعبانة من سنتين.. باغسل كلى وآدي الجهاز بتاع الغسيل في دراعي.

تظهر الصدمة عليهن.. أم هالة تضع يديها فوق رأسها من صدمة الخبر.. وقد أصابها سهم الذهول.. ظلت واقفة لا تستطيع التحرك وكأن ثعبانًا سامًّا لدغها.

وتكمل أمنية: وجسمي بقى بيترعش وعرفنا من شهر إني في آخر مرحلة.. بابا ماكانش قدامه أي حل غير إنه يتبرع بكليته ليا.. والتحاليل طلعت مطابقة.. طلب مني ماحدش يعرف الموضوع.. النهاردة الصبح عرفت من الدكتور إن حياته في خطر.. ولازم يمضي على نفسه إقرار.. كلمته النهارده وقولتله أنا هاستحمل ألم الغسيل.. رفض.. وقالي زمان كنت عايز أنقذ أمك من الموت.. من الفشل الكلوي.. وماعرفتش بسبب الفقر والحاجة.. ماتت وأنا شغال شغلانة تانية بعد الضهر.. ماتت لوحدها.. وعشت سنين أشوف في عينيكي نظرة أمك.. إنتي لو موتي يا أمنية أنا هاموت.. أنا هاعمل العملية وأطمن عليكي وبعدها أموت فرحان.

الدكتورة سعاد: أنا قولت واحدة واحدة مش تلاتة !.. وبعدين الكلام معاها دلوقتي مش صح.. يلَّا نخرج برة.. أنا طمنت بابا عليكي وهو مشي.. وبيقولك كل شيء هيبقى تمام وعلى ميعادنا الأسبوع الجاي هانعمل العملية.. وبيقولكم يا جماعة خلوا بالكم من أمنية.

في آخر الممر عم فتحي يقف يتكلم مع مصطفى: أنا عارف إنك بتحب أمنية.. خليك جنبها.. هانعمل العملية الأسبوع الجاي وهتبقى زي الفل.. هتبقى أحلى عروسة .

مصطفى مبتسمًا ولم ينصرف ظلَّ جالسًا.

خرجن جميعًا من غرفة العناية ينظرن إلى بعض.. يقترب محمود ومعه شباب العائلة ينظرون إلى أسماء وإسراء وأم هالة..

تنظر إليهم أسماء بمنتهى الحزم والحذر والصوت المنخفض: لو البنت ماتت يبقى علشان أبوها رفض العريس.. ومَوتها بإهماله ويعيش بذنبها.. أو يروح في ستين داهية.. ويبقى فتحي قتل بنته ومشي في جنازتها .

أم هالة وإسراء تدخلان نوبة بكاء شديدة.. لم تستطيعا تنفيذ خطة أسماء للانتقام من فتحي، فقلن كل ما حدث مع أمنية وما أصابها.. شعروا أنهم من الأفضل لهم لو ظلوا لا يعرفون هذا الخبر.. بعد قليل يدرك الجميع خطورة الحالة من الدكتورة سعاد.. فجلسوا جميعًا يبكون دون أن ينظر أي منهم للآخر.. وراح محمود يبحث عن عم فتحي.. هذا الرجل المحتفظ بهدوء أعصابه في وقت تقيأت الحياة في صدره.. وما زال واقفًا على قدميه.

"لا نرى عمق الحب إلا وسط ألم الفراق"

"جورج إليوت"

أنا آسف ليكم

في غضبٍ وحدةٍ يقف محمد جمال.. وسط عنبر الطوارئ يسند زوجته المريضة بسبب تلوث في الجرح منذ ثلاثة أشهر والعملية تؤجل.. بحثًا عن سرير فارغ ولكن لا يوجد.. يتحرك بصعوبة بسبب وزنه.. يبحث عن ممرضة تغير على الجرح الملوث ولا يجد.. يصرخ في الجميع.. وكأنه قائد شعبي:

"هي دي الحياة إللي إحنا عايشينها.. لما نتعب مانعرفش نتعالج.. عايشين علشان ناكل ونتعلف زي البهايم.. ونتخن كده.. نعيش اليوم بيومه.. نتابع الدوري الممل.. نستنى آخر الشهر علشان نقبض المرتب اللي هايخلص بعد إسبوع.. نفتح كل يوم تليفوناتنا ووشنا في الأرض نعمل أي موضه حتى لو خرا.. مافيش أمنية ولا حلم لبكرة.. ولما نزور أي مكان نضيف.. بسرعة نتصور وننزل الصور على الفيس بوك.. نوهم نفسنا ونوهم الناس إننا سعداء.. نضرب بعض بالكلام والتلقيح والصور... زي لعيبة التنس في الماتشات الدولية.. وبالليل نيجي نتعالج هنا في القرف ده.. طب إزاي قابلين على نفسنا الوضع ده.. طظ فينا كلنا لو حياتنا بالشكل ده.

كان كل ما صوتي يوطا من التعب والانفعال.. صوت الطوارئ يقل.. الظاهر إن الناس كانت عايزه تسمعني.. أو كلامي مريحهم أنا آسف ليكم .. طظ فيا أنا لوحدي.

إذ تشعر أنه خيم على المكان نوبة من الفقر الجماعي.. ظهر على ملامح الجميع.. ما عدا طفلًا في الرابعة من عمره مبتسمًا وسعيدًا .. وكالعادة لم يتغير شيء.. فانصرف الجميع وظل محمد جمال وزوجته يتألمان وحدهما.

بروفين ٤٠٠

الراجل إللي مات وساب لابنه آخر رسالة في ملامحه.. بيقوله فيها خلي بالك من أمك وإخواتك.. يا ترى وصلت ولا لأ؟

مخزن الذكريات

كعادة الطوارئ الجميع يجري.. الجميع قلق.. الجميع غير راضٍ عما تسير عليه الأمور.. والكل في النهاية.. مجبر على البقاء هُنا.. وسط كل هذا الضجيج والسرعة والغضب.. رجل عجوز وزوجته العجوزة.. يسندان بعضهما.. وكأنهما في نزهة على الشاطئ.. من أول نظرة إليهما تستطيع أن تعرف بمنتهى البساطة أنهما عشيقان.. هما الاثنان من الواضح أنهما في حالة إعياء.. لا يوجد غير سرير واحد.. كلاهما يريد الآخر أن يستريح عليه ولكن في نهاية المطاف تجلس الزوجة على السرير لتستريح وهو يجلس بجوارها ينظر في عينيها كالمراهقين.. وكأنه لم يرَ عينيها من قبل.. مبتسمًا.. يحاول أن يذكرها بأيام الشباب.. ولكن الزوجة افترسها الزهايمر.. أصبحت لا تتذكر شيئًا.. وأحيانًا تتذكر كل شيء.. فهي رحلة أربعين عامًا.. من الصعب أن تموت ذكريات سنين طويلة.. يتكلم وهي لا تتذكر.. وهو يبتسم ويتحدى الزهايمر.

هو (في حماس وإصرار في أن يذكرها): لما كنا بنمشي من الكلية لغاية بيتكم.. كنا بنمشي كل يوم ستة كيلو.. زي ما يكون كنا في اختراق ضاحية.. شباب بقى.

هي (بغضب): مش أنا.. (تحاول أن تتذكر) أنا ماكنتش بمشي مع حد في الكلية.

هو: إنتي نسيتي؟

هي: كنت بتخونَي يا شوقي في الجامعة؟

هو (يصمت.. وكأنه أصِيب بسهم مسموم في صدره): أنا اسمي شريف على فكرة.. كُنت فاكر إن الزهايمر يقدر ينسيكي أي حاجه إلا اسمي.

تحزن.. تصمت.. لا ترد.. متماسك.. يحاول أن يخرجها من هذه الحالة.

- ولا يهمك.. ولا تزعلي نفسك.. لو عايزاني شوقي فأنا شوقي.. طظ في شريف.. (يضحك) طب بصي فكريني إنتي بأي حاجة.

هي (تعدل نفسها تتألم من حركة ظهرها المفاجئة.. تبتسم ابتسامة بنت عمرها ١٦ سنة.. تغمض عينيها قليلًا ثم تنظر إليه وتبتسم.. ينظر إليها إذ رأى عينيها تلمعان.. فجلس يسمعها.. باهتمام.. لم تبتسم هذه الابتسامة من سنين ..): فاكر لما طلعنا رحلة الفيوم ولما كُنا عند السواقي.. كان وشي للمية وإنت واقف ورايا.. وكنت حاسة بأنفاسك في شعري ... وإيدك عايزة تسبقك وتحضنَي.. وقولتلي أنا بحبك.. ساعتها وشك كان أحمر أوي.. وأنا علشان أغير الموضوع قعدت أرش عليك مية ونجري.. وبعد ما تعبنا من الجري.. مسكتني ماكنتش قادرة أخد نفسي.. إنت عارفني بتعب من الجري .. قولتلك بحبك . الشمس كانت نازلة وماكناش قادرين نفتح عِينينا.. من كتر فرحتك كملنا جري زي المجانين.. أكيد إنت فاكر اليوم ده مايتنسيش.....

هو (تختفي ملامحه.. يريد الهروب من السؤال.. لأن هذه الحكاية لم تحدث.. الخيال أجمل من الواقع.. سكون للحظات.. يتكلم بلطف): إحنا عمرنا ما روحنا الفيوم ولا رشينا مية على بعض.

يشعر أنه أحبطها.. وواضح من ملامح وجهها اليأس.. تصمت.. يصمت.. كلاهما ينظر للآخر ولكن بدون كلام.. تحاول أن تغير الموضوع.. تمر فتاة

جميلة تسأل الرجل عن مكان العناية المركزة.. تبحث عن صديقتها أمنية.. جاءت في حالة تسمم.. يخبرها أنه لا يعرف.. هذه أول مرة يدخل فيها هذا المكان.. تشكره .. وتسأل شخصًا آخر.

هي: شوف أحمد ونورهان ومريم إتأخروا ليه؟.. قالولي جايين علينا .

هو(بنظرة تعجب): مين دول؟

هي: ولادنا .

هو (يحاول أن يتماسك عن البكاء): إحنا ماعندناش ولاد

تنظر إلى السقف ـ للعنكبوت والسواد المتراكم.. بينما تسيل دموع عينيها .

هو: أنا فاكر لما كُنا عند دكتور النسا وقال إننا مش هنخلف وقتها كُنتي بتعيطي نفس الدموع دي.. وأنا كُنت بضحك.. قولتلك يومها الحمد لله ماحدش هاياخدك مني أو يشغلك عني أنا عايزك لوحدي ـ فراشة حرة في الهوا.. وبعدين هو أنا يعني مش كفاية !.. (تتغير ملامحه) علشان خاطري ماتخليش الزهايمر يفترسك ـ أنا ماليش غيرك ـ إنتي مراتي وأمِي وبنتي .

يشعر أنه أحبطها.. يصمت للحظات.. الصوت المحيط بهما عالٍ ـ لكنهما في عالم آخر.. يقف ـ ويجلس بجانبها ويضع يده على خدها ويمسح دموعها.. ينظر إلى المطر وهذا الجو المحرض على الحنين.. ولكنه يعود وينظر إليها في حزن.. إذ إن الحزن يحطمه تدريجيًّا.. يضع يده في جيبه فيخرج الشيكولاتة المفضلة لها.. تنظر إليه وتبتسم تدريجيًّا.

هو: عمري ما هانسى أول يوم خطوبة.. أول يوم تسمحيلي أمسك إيدك ـ وصوابعك متخشبة بين صوابعي.. وضربات قلبنا بتجري أسرع مننا من الفرحة.. كان نفسي العالم كله يشوفنا.

هي: أنا كنت مكسوفة .

هو: إشمعنى فاكرة الموضوع ده؟ (تضحك بخجل.. يضحك هو) كان أول مرة أحس إحساس إني مش خايف وأحس إني خايف.. وأحس إني فرحان وإني قلقان وإني طاير وإني ندمان وإني ماحدش حاسس بإحساسي وإني جوايا مفرمة أحاسيس مختلفة.. إنتي فاكرة اليوم ده؟

تشير له بأنها متذكرة ـ ينظران إلى بعضهما ويضحكان.. إذًا ابتسم العجوزان.. وتحركت التجاعيد التي رسمها الزمن على وجوههما.. يشعر أنه نجح ولو نجاحًا بسيطًا.. يمسك يدها ويقبلها.. تسحب يدها العجوز بخجل.. كُل الضوضاء حولهما لا يشعران بها ـ وكأنهما في عالم موازٍ.. برغم وجود صرخات عالية جدًّا لرجل يضع يده على وجهه ويصرخ.. يقول عم محمد الممرض فقد عينه... العجوزان خارج حدود المكان رغم أن الجو قارس والمطر شديد لكن في بعض لحظات من الليل يكون له جماله.

هو: عارفة لو الذكريات إللي بيني وبينك ماتت ده معناه إيه ؟.. إني أنا كمان مُت.. لأني ماليش ذكريات مع حد غيرك.

(تمسك يده بيديها الاثنتين وتغمض عينيها)

هي: يعني يا شوقي قصدي يا شريف إحنا ماعندناش.. أحمد ونورهان ومريم؟

هو: عندك شريف يا حبيبتي ...هوأنا مش كفاية عليكي ؟

تحزن ... ثم تعود لتنظر إلى قبح السقف.. يحاول تغيير الموضوع.

هو: فاكرة لما سافرت مع الشغل فرنسا سنة.. ولما رجعت أخدتك بالحضن في المطار وقعدنا نعيط أكتر من ساعة !

هي (تعود إلى نفس اليأس والصمت): مش فاكرة

سكون تام لشخصين من الواضح أنهما لا يعرفان بعضهما ـ مع أنهما زوجان منذ أكثر من أربعين عامًا.. نظرات إحباط ولكن هذه المرة ـ شريف هو المُحبَط .. هو المهزوم ـ يسند رأسه على الحائط.. يشبه المهزومين في ماراثون للجري.. من المرعب أن تشعر بأن شريك عمرك قد مات وهو على قيد الحياة.. يرفع رأسه ويتكلم معها لأول مرة بعنف.

هو: أرجوكي كل ذكرى بفكرك بيها بتموتيها.. أنا بموت معاها .. أبوس إيدك فوقي.. ساعديني.. متخليش الزهايمر يحطمك ويموتني أنا.. ماتخلنيش أندم إني بفكرك.

هي تبكي وهو يحاول أن يتماسك.. ولكن تمسح دموعها وتحاول أن تتذكر.. ترفع صوتها قليلًا لأن الازدحام زاد منذ دقائق بسبب حادث ميكروباص.. جعل كل من في الطوارئ يجري ويصرخ.. المكان أصبح غير مستقر.. يكاد كل منهما يسمع الآخر بصعوبة.. تحاول أن تتذكر حتى لا يشعر بالهزيمة .

هي: خلاص أنا افتكرت كل حاجة.. أنا فاكرة العقد الدهب اللي جبتهولي في عيد ميلادي.

هو(في يأس): ماحصلش.

هي: فاكرة كويس لما قولتلك ماتكلمش بنت عمك تاني ـ باغير منها .

هو (وجهه في الأرض): عمرك ما غيرتي من حد.

هي: فاكر لما كنا في السينما ونطلع بعدها ونقعد على النيل.. وضهرنا للعربيات وبالصدفة ناخد بالنا إن الفجر طلع.

هو: لاااااا .

هي: طيب فاكر يوم لما أخوك مروان إتوفى في حادثة.. وإنك كنت هاتموَت نفسك من الحزن عليه.

هو (بصوت مرتفع): مروان عايش يا ياسمين.

هي: طيب إنت كنت بتحب الملوخيه بالجمبري.

هو (لا يرد).

هي: طيب أغنية نجاة يا مرسال الهوا.. القهوة البن التقيل سكر مظبوط إللي بعد الفطار.. الشاي أبو معلقة سكر بعد الغدا.. الخروجة كل خميس.. التمشية على النيل.. المصيف في الإسكندرية.. طلبات العشا بالليل.. المنديل القماش إللي كتبتلي عليه بحبك.

ينظر اليها نظرات حزن وغضب وعطف.. كل ما تقوله لم يحدث.. يشير بيده لها أن تتوقف عن الحكي.. يصمت . ولكن يرفض الاستسلام . ينظر إليها . هي تنظرإلى المطر خارج المستشفى كطفلة في السابعة من عمرها.. في عزيمة وإصرار أن يقضي هو على الزهايمر .

هو: فاكرة الآيس كريم إللي بوظ هدومي يوم العيد ؟

هي: لاااا .

هو: فاكرة رحلة أسوان ؟

هي: لاااا .

هو: فاكرة لما غيرنا عفش الشقة ؟

هي: لاااا .

هو: فاكرة أغاني عبد الحليم وخصوصًا بأمر الحب ؟

هي: مش فاكرة .

هو: طب فاكرة لما إتقدمتلك أكتر من عشر مرات وأبوكي ماكانش موافق علشان ظروفي المادية كانت وحشة.

هي تصمت.. وهو يضع يده فوق رأسه.. دكتورة رضوى تسأل الدكتورة سعاد عن آخر عربة إسعاف وما سر وجود مصورين حولهم.. فتخبرها بأن الرجل في العمليات.. والسيدة في حالة خطيرة جدًّا.. فتخبرها سعاد بأن طارق يبحث عنها.. تغير رضوى الموضوع.. متحججة بخياطة جروح الحالة التي عليها أن تعالجها سريعًا .

ينهار الرجل في دموعه لأول مرة.. لا يستطيع أن يتماسك.. يرتفع صوته كمدافع الهاون.

هو: إنتي مستحيل تفهمي إحساسي وإنتي بتمسحي كل ذكرياتنا بأستيكة قدام عيني . وإنتي لو تعرفي إني بموت أكتر منك.. أنا أسف لو صوتي عالي مش قادر أمسك نفسي.. إتعبي نفسك شوية وحاولي تفتكري.. إفتكري أنا بحبك قد إيه.. بعشق تراب رجليكي.. ودي حاجة تستحق تفتكريها..

يدخل الدكتور وليد ممسكًا في يده الحاج عربي يعتذر له ويجلسه على سرير.. ويطلب من زمزم الممرضة ثقيلة الوزن.. أن تضع له محلولًا.. ينظر إلى العجوزين ويبتسم ابتسامة بسيطة.

هو: إفتكري إني عمري خلص زي الشمعة علشان ينورلك.. ماتسيبيش الزهايمر يموتك لإني هاموت نفسي يا ياسمين.

هي تقف تلبس الشبشب تحاول السيطرة.. هو منهار انهيارًا كاملًا.. صوت بكاء الرجل أصعب وله جلالة.. ما أصعب أن يبكي الأسد الكبير بكاءً كبيرًا . الجميع ينظر إليهما.. يحدث صمت تدريجي.. رغم وجود هذا الازدحام.. وكأننا في عرض مسرحي.

هي: أنا اسمي سارة على فكرة.. الحقني يا دكتور.

دكتور وليد: إيه إللي حصل تاني؟ كل يوم يقولكم تعبان هاموت.. كل يوم ليه اسم جديد.. كل يوم تايه وحد يجيبه هنا.. إنت يا حاج لو دكتور هنا مش هاتيجي كل يوم كده.. وطبعًا عايز تاخد مُسكن.. كتر المسكنات غلط.. روَح يا بابا .

بينما الدكتور وليد يتكلم.. يدخل أحمد ونورهان ومريم.. في نظرات قلق من دموع الأب والأم.

هي: تعالوا شوفوا أبوكم بيقولي ماعندناش عيال وإننا ماخلفناش.. وقعد يقولي حاجات أول مرة أسمعها.. قولتله ماحصلش.. كان لازم أصارحه.. أبوكم نسي إسمه إيه.. أبوكم الزهايمر إفترسه.

ينظر إليها في تعجب ! ما زالت الدموع تنهمر من عينيه.. ينظر إلى كل شيء في الطوارئ بتعجب.. كأنه يراه لأول مرة.. نظرات طفل يكتشف العالم من حوله.

هي: ماتت جوايا كل حاجة.. شريط حياتي بيسف قدامي.. أربعين سنة جواز.. أنا وهو بنشتغل.. وبنربي.. وبنلعب ..وبنتفسح.. وفي الآخر يقعد

يحكيلي حاجات أول مرة أسمعها والمفروض أقوله إيه؟ أقوله فاكرة.. لأ. ومليون لأ.. أنا مش فاكرة غير حاجة واحدة بس ..إن كل ذكرياتنا أغلى حاجه في حياتي ..إللي في مخزن الذكريات إنت قتلتها بالزهايمر.. فوق يا شوقي أبوس إيدك أنا بموت.

يحتضن الأبناء أباهم وهو جالس على السرير بعد الحقنة المُسكنة.. تقف الأم تنظر إليهم.

هي: كدا يا شوقي تنسى سارة حبيبتك..

تنظر في عطف.. فتحتضنهم وسط ضجيج الطوارئ.. وهي تغني أغنية يا مرسال الهوا.. كان يتابع هذا الموقف مريضة اسمها نيفين.. يقف بجانبها طفلها آدم.. نظرت إليهم فبكت.. وبعدها نظرت إلى ابنها فابتسمت.

(مهما كان.. فأنتَ.. لا تريد لتلك الذكريات أن تُمحى من ذاكرتك)

(هاروكي موراكامي)

عليك كتير

الدكتور وليد غاضبًا . تغيرت ملامح وجهه البسيطة . يقف أمام رجل في الخمسينيات . أنيق يلبس بدلة سوداء: إنت دلوقتي شايفني . مُنتج نهائي . دكتور امتياز قد الدنيا وجاي تحط التيكت بتاع إسمك عليه . صح؟ (صمت من الأب) وإنت أبويا إللي سابني في رابعة إبتدائي بفتح عيني على الدنيا من غيرك . وجاي النهاردة تفرح بنجاحي . وناخد بعض بالحضن (الأب يحاول أن يتكلم.. رفع وليد صوته) تعرف إنت إيه عن الدكتور إللي واقف قدامك؟ شحت حق الدروس ..كنت بلبس قميص واسع عليَّا وبنطلون قصير وجزمة سودة مقطوعة . وكتبي بحطها في كيسة بيضة . وصحابي بيتريقوا عليا.. وماعنديش لبس غيره.. أنت عمرك ما كنت هاتفهم إني في ثانوي . بلم ورق من الشارع علشان أذاكر فيه علشان مفيش فلوس.. أكيد ماتعرفش إننا كنا عايشين في أوضة تحت الأرض.. شوفت أيام صعب أوصفهالك.. ولما كبرت بقيت بشتغل طول الصيف علشان مصاريف الكلية.. لحظات كتيرة . حلوة ومُرة . أيام صعبة كنت فيها غياب ومطلوب مني دلوقتي أسجلك حضور (يدمع الأب وانخفض صوت وليد) أنا عامل زي عصير جوز الهند .. تعرف إيه عن شجرة كبرت من غير مية ولا هوا.. تعرف كام فرع مال واتكسر جوايا بسببك !.. تعرف كمية الضرب على جوزة الهند قد إيه لغاية ما اتكسرت.. تعرف اتعصرت إزاي.. وفي الآخر خرجت من المصنع في علبة شيك مغلفة.. وحضرتك جاي تشرب ببلاش . مش هاينفع تشرب ببلاش !.. عليك كتير أوي.

حادثة الميكروباص

هشام خريج كلية آداب.. يعمل سائق تاكسي.. متوسط الطول ..غيرت الشمس لون بشرته.. يجري وسط الزحمة شاحب الوجه.. يسأل الكل عن حادث الميكروباص.. يتعثر تارة وأخرى يقوم ليبحث عن أخيه الذي عاد لتوّه من السفر.. أحدهم أخبره أن أخاه العائد أصيب في حادث ميكروباص.. يجري بكل قوته بحثًا عن أخيه إسلام.. شعر أنه على وشك سماع خبر سيئ.. فدخل كل أروقة الطوارئ يبحث عن أخيه.. الذي سافر بعد خلاف معه.. وكانت أول مرة يرفع فيها صوته على أخيه الأكبر.. فاندفع كالمجنون.. وترك أباه المسن يستند على يد أخته فردوس.. التي لم تنتهِ من تعليمها الجامعي.. فهي في الدفعة الثالثة بكلية التجارة.. توفيت أمها وهي في التاسعة من عمرها.. وهي الأكثر قربًا لإسلام.. كانت تتعامل معه وكأنها ابنته.

هشام: السلام عليكم.. معلش كنت بسأل عن حادثة الميكروباص إللي جت هنا من ساعة ؟

مندوب أمن يتحدث في تليفونه مبتسمًا جدًّا في قمة النشوة.. يشير له على زمزم الممرضة.. دون أن يتكلم.. ويعود للضحك.

هشام: معلش كنت بسأل عن حادثة الميكروباص إللي جت هنا من نص ساعة ؟

الممرضة زمزم: إنت سايب الزحمة دي كلها وجاي تسألني؟.. ماعرفش.. إسأل إللي هناك.. هو أنا ناقصة قرف.

يستمر هشام وأخته فردوس في سؤال الجميع عن إسلام.. يعترض طريقهما أمام سلم الطوارئ فتحي أبو أمنية.. بعد أن اطمئن على ابنته.

عم فتحي: طمني يا ابني لقيت أخوك؟.. أستنى معاك لغاية ما تطمن عليه؟.. على العموم أنا هاسأل على فصيلة دم لبنتي في بنك الدم ..علشان عندها عملية الأسبوع الجاي.. وهارجع تاني.

هشام: إن شاء الله إسلام هيبقى كويس وبخير.. متشكر يا حاج.. حد يرد علينا يا جدعان.

وإنت في قمة الغضب تتفاجأ بأن معظم طاقم النبطشية من الأحجار.. مع زيادة الازدحام.. أصوات الزعيق.. بقع الدم والسرنجات.. يزداد تلقائيًّا التعب وإحساس الخنقة.. تنظر للوجوه العابسة.. وتشم رائحة المكان.. فتشعر بالوحدة وسط كل هذا.. بعد فترة من السؤال عن أخيه.. يقابل كريم الذي يعمل في إحدى الشركات.. وقد جاء إلى الطوارئ مع ابنته المصابة بكسر في قدمها.

كريم: لو بتسأل عن الحادثة ممكن تسأل الدكتور إللي هناك ده.

هشام: دكتور ـ أخويا عمل حادثة وعرفت إنه هِنا.

الدكتورولِيد: إسمه إيه؟

هشام: إسلام عباس حسين.

ينظر الدكتور وليد إلى كشف الأسماء.. لا يعرف من أين يبدأ كلامه.. ولكن يتكلم وهو يكتب روشتة لمريض آخر.. بصوت خافت جدًّا: هاستأذنك أتأكد من حاجة الأول.

في هذه اللحظات تصرخ فتاة اسمها دعاء.. لينقذها أي أحد.. وقفت أمها في منتصف عنبر الطوارئ.. تقيأت دمًا.. فتراجع الجميع خوفًا.. حتى

تقدم خالد ومؤمن وأجلساها جانبًا.. ووقف عم محمد الممرض يبحث عن أي عامل يمسح الدم من الأرض.. وقف هشام وأخته فردوس وأبوهما في انتظار عودة الدكتور وليد.. الذي أثار الرعب في قلوبهم.. نظر هشام إلى فردوس وسألها إن كان إسلام أخبرها بأنه سيعود أم لا.

فردوس: كلمني وقالي مافيش شغل الأسبوع ده.. وهاروح أركب أي ميكروباص.. كان في الموقف بس حكالي موضوع غريب أوي (أشار لها هشام أن تستمر بالحكي) قالي إمبارح حلمت بأمك الله يرحمها.. جاتلي في المنام وأخدتني في حضنها.. وقالتلي وحشتني يا لوما.. هاشوفك قريب.. قولتلها سيبيني أنا لسا صغير.. قالتلي ده مكتوب يا حبيبي مش بمزاجي.. وفجأة المكان اللي كنا فيه بقى بحر.. وإحنا في مركب عالي قوي.. وشراعه مفرود ماتشوفيش آخره.. والموج كان عالي قوي.. بس المركب ماكانتش بتتحرك.. سألتها الشط البعيد ده إيه؟.. قالتلي وهي بتضحك ضحكتها اللي أنتي عارفاها.. دي الحياة.. قولتلها عايز أروح الشط.. قالتلي ماينفعش.. وبعدها صحيت من النوم.

نظر كل منهما إلى الآخر وقد فهما المقصود من الحلم.. ولكنهما تجاهلا الفهم .. اصطدمت عين هشام التائهة بمشهد عودة الدكتور وليد.. يضع وجهه في الأرض.. لا يعرف من أين يبدأ كلامه.. بصوت خفيض ـ يقترب من هشام ويضع يده على كتفه.

- البقاء لله.. إسلام وصل الطوارئ متوفى

شعر أن الدم يجري بسرعة مجنونة داخل عروقه.. وعيناه أغلقتها الدموع.. أمسك الدكتور من رقبته ليضربه.. ولكن أمسكه عم محمد.. أخته فردوس تصرخ بعلو صوتها.. كان صوتها يحرك جدران الطوارئ.. وقع

الأب على الأرض.. قدماه لم تستطيعا أن تحملاه.

هشام: إنت بتقول إيه.. لا يمكن.. ادخل جوة قول لإسلام هشام أخوك واقف بره.. قولَه مراتك حامل.. قولَه إنت ماينفعش تموت.. قولَه إنت الحاجة الوحيدة إللي في حياتنا بتفرحنا.. أدخل قول لإسلام تعالى كلم أخوك هشام.. عايز يحكيلك حاجات كتير كان جاي يقولهالك.. قولَه منارأخيرًا ـ قالتلي ـ بحبك يا هشام.. أدخل قولَه هشام برا ومش هايمشي.. أدخل قوله هشام بيقولك ـ إنه آسف مش هايعلَي صوته تاني .

على هذا الخبر أطلق هشام صرخة مدوية لم يُسمع في قوتها وصدقها من قبل.. وكان الليل يضع متعلقاته الشخصية.. وسط دموع الجميع.. شاهد هذا المنظر الدكتورة سعاد.. فهي دكتورة.. شاطرة.. حكيمة.. موهوبة في احتواء الآخرين.. تحركت باتجاه هشام.

سعاد: لو بتحب إسلام أمسك نفسك.. علشان لسا في ورق مهم علشان تخرج من هنا

نظر إليها دون أن يتكلم.. وبكى.. كان الجميع يتفرج دون أن يتدخل.. شق هذا الازدحام عم فتحي أبو أمنية.. وحضن هشام.. حضن كبير.. وأخذ يربت على ظهره.. فدفن هشام رأسه في صدر عم فتحي وبكى.. فطلبت الدكتورة سعاد من الجميع الابتعاد.. لأنها تثق أن عم فتحي رجل حكيم التصرف.

(أحسنوا إلى من تحبون.. فإن الشوق بعد الموت.. لا يطاااااق)

(محمود درويش)

كتافلام ٥٠

يقف منفعلًا ويسأل:

هي السنين الكتير إللي ضاعت مع ناس بنحبهم ومشيوا.. مين هايحاسب عليها؟

(صمت)

هي السنين إللي ضاعت.. وإحنا مش عارفين نعبر بالكلام عنها.. هنعمل فيها إيه؟

(صمت)

هي الناس إللي بنفضل نضحي علشانهم وهما مش حاسين.. وياخدوا مننا بعدم اهتمام .. ويجرُّوا السنين برجليهم.. وفجأة يمشوا زعلانيين مننا.. هو كدا عادي !!!

(صمت طويل)

إنتا لوحدك .

زحمة موت

(حدث بالفعل)

الازدحام داخل أروقة عنبر الطوارئ.. يصطدم بك أحدهم ولكن لا يعتذر.. يسألك آخر ولا تستطيع أن تجيب.. وأحدهم ضاقت به نفسه فانهال سبًّا في الجميع.. وهنا هدوء طبيب امتياز حديث التخرج قليل الخبرة.. يتعرض إلى مواقف غاية في الصعوبة.. الخوف من الألم ومن شخص ينظر إليك أن تقف بجانبه.. ولكن لا تستطيع فعل أي شيء.. ذلك شعور مؤلم.. رائحة المكان وإحساس الخنقة وطعنات الناموس.. روح الحزن تعم الجميع.. ولكن كل واحد يبكي بطريقته الخاصة.. مع زيادة الوقت يزداد الألم.. ساعة في إثر ساعة.. فالوقت هنا يمر بصعوبة.. من يجلس ـ ومن يبكي ـ أو يغضب ـ ومن يلقي بجسده على البلاط المتسخ فينام.. فكل الذين هنا ليسوا في نزهة.. أو رحلة استكشافية.. الجميع مجبر!

(١)

يدخل اثنان.. يتكلمان لهجة غريبة.. معهم حمو.. ممسك إحدى عينيه بيده ويصرخ.. تختفي ملامح وجهه خلف الدم.. نظر إليهم الدكتور وليد ليفهم ما حدث.. فقال أحدهم.. إن صديقهم حمو.. يعمل سارقًا للماكينات الصيني.. عن طريق كسر القفل.. ولكن هذه المرة الحظ لم يبتسم إلى حمو.. أهل الشارع أمسكوا به.. وصار الجميع يضرب بكل قوة.. حتى وصل صاحب الماكينة.. وعلم أنهم أمسكوا بالسارق.. فتقدم في وسطهم وقال إنه منذ أقل من شهر سرقت منه ماكينة أخرى.. استمر الناس في الضرب حتى تصل عربة الشرطة.. ولكن صاحب الماكينة فتح شنطة العدة.. وأخرج مفكًّا.. ودون سابق إنذار.. أدخل المفك في عين حمو.. ففقأها.. صرخ حمو صرخة مروعة.. على إثرها هرب الجميع في كل اتجاه قبل وصول عربة الشرطة.. وفر صاحب الماكينة بأقصى سرعة.. نظر صديق حمو للدكتور وليد.. وهو شبه مغمض العين.. تاركًا فمه مفتوحًا بعد الكلام.. وقال الصديق: بس حق حمو هايرجع.. ماحدش هايخيط الواد اللي فقع لحمو البلية.. غيرك يا دكتور.. شوفلنا حوار حمو بقى علشان هو واخد حبّتين.. لو راح مفعولهم هايكسر الليلة دي كلها.. معلش يا حمو.. حقك هايرجع بالعين اللي فاضلة دي.

إسماعيل يبحث عن سرير لابنته المريضة.. فيطلب من الصديق أن تجلس البنت تكشف على السرير.. لأن حمو ذهب لعمل أشعة للعين المصابة.

الصديق: اخلع من هنا يا زميلي.. دا سرير حمو الأعور (ينظر إلى صديقه الآخر ويضحكان) أخد اللقب خلاص . حمو الأعور.

(٢)

أحمد يدرس في إحدى الجامعات الخاصة.. دخلها عن طريق المنحة المجانية.. يبحث عن عم فتحي أبي أمنية.. تقف فتاة جميلة تطلب المساعدة.. فيتقدم أحمد ليفهم منها.. تطلب منه أن يسند معها زوجها.. وهو شاب طويل يسيل الدم من رأسه ويده وأقدامه.. منظر الشاب يجعل الممرضين يهربون من استقبال تلك الحالة.. فذهب أحمد ليحمله مع الفتاة الوحيدة.. تفاجأت رضوى بمنظر الشاب الغارق في دمه فأسرعت إليهم دون تردد. وعلى الفور أخذت طارق (طبيب امتياز من نفس دفعة رضوى) الشجاعة التي غابت عنه منذ البداية ليذهب خلفها.. وعندما سألت رضوى أحمد عما حدث.. لأن ملابسه تلونت بدم الشاب.. قال لها إنه يفعل الخير.. فأخذت زوجة الشاب تحكي تفاصيل حرب شوارع بين مجموعتين من المتشردين وسائقي التوكتوك.. وما إن انتهت من الحديث.. حتى أصبح غزو من الشباب شديد الخطورة في الطوارئ.. فأدرك الأمين مصطفى ـ مسئول الأمن- ما سيحدث فأغلق الباب الحديد.. أمسك أحدهم الباب وقال:

- الدكتور اللي هايخيطه هاموته.. أنا عايز دمه يتصفى.. ويموت.

لم تلتفت الدكتورة رضوى لأقوال ذلك المتهور.. رغم أنها مهددة.. أمسكت يد المصاب.. وتفحصت الجروح.. وقالت للفتاة:

- هانحتاج الطلبات دي من برا بأقصى سرعة ممكنة.

فأخذ أحمد الورقة.. وخرج دون أن ينظر للفتاة.. أو يطلب منها شيئًا.

رضوى: بعد إذنكم معانا هنا واحد عنده نزيف حاد.. ومحتاجين كيسين دم ضروري.

وظل الدكتور طارق واقفًا بجوار رضوى.. فنظرت إليه بتعجب:

رضوى: شكرًا يا دكتور طارق على مساعدتك.. تقدر تشوف أي حالة تانية.. في حالات كتير.

تقدم مؤمن للتبرع.. وظل خالد ينظر من بعيد إلى الموقف بعطف وبعدها قرر الذهاب للتبرع.. دقائق وعاد أحمد بلوازم الخياطة.. لم تتردد الدكتورة رضوى وبدأت العمل..

قال الشاب: خيطيني يا دكتورة من غير بنج.. علشان مانساش الوجع .

بعد فترة انتهت رضوى من مداواة جروح هذا الرجل.. ثم نظرت إلى زوجته وأخبرتها أن الأمور بخير ولا داعي للقلق ثم انصرفت.. طلبت الفتاة أن تدفع إلى أحمد ثمن لوازم الخياطة فرفض ورحل.. كان أحمد مشغولًا بالبحث عن عم فتحي.

(٣)

يقف في وسط عنبر الطوارئ ـ حمص ـ في السابعة عشرة من عمره.. يصرخ ويضرب بأقدامه الأرض.. ولكن الألم لا يتوقف.. يلبس ملابس قديمة متسخة وحذاءً جديدًا!.. فهو قبل ساعتين كان في محل تجاري لبيع الأحذية.. فسرق حذاءً وانصرف ـ آملًا ألا يراه أحد.. أمسك صبيان المحل بحمص.. وانتظروا قدوم صاحب المحل.. وهو رجل منزوع القلب عديم الرحمة.. نظر إلى حمص ولم يضربه.. وهرع إلى محل الترزي الذي بجوار محله.. وأحضر مقصًّا كبير الحجم ووضعه خلف ظهره.. ونظر إلى حمص نظرة كلها شر.. وكأنه ضبع يأكل الفريسة حية.. نظر في عين حمص وأعطاه

وعدًا ـ أنه في المستقبل لن يستطيع أن ينظر في المرآة.. كان كل ما يدور في رأس هذا الرجل هو الانتقام من حمص.. فأمسك بأذن حمص اليسرى.. وقص الجزء الأعلى منها.. صرخ حمص صراخًا عظيمًا .. لم يكن يعلم أنه سيطلق صرخة بهذه القوة.. فوقع أرضًا يبكي من فرط الألم.. لا يستطيع مواجهة الألم.. عندما سمعت الدكتورة سعاد القصة .. حبست أنفاسها في صدرها... ونظرت إلى أذن حمص في ذهول.. وامتلأت عيناها بالدموع.. وطلبت منه أن يأخذ حقه بالقانون من هذا الرجل.. لكن آلام حمص كانت لا تحتمل.. فصرفت الدكتورة سعاد حقنة مخدرة لتسكين الألم الرهيب.. وقالت له: ليه سرقت يا حمص.

قال لها وهو يبكي من شدة الألم: من السنة اللي فاتت وأنا حافي.. نفسي رجلي تدَفي في جزمة من البرد.. ماكنتش أعرف إنه هايعمل كده.

لم يستطع أن يكمل كلامه فجلس على الأرض يبكي.. أبلغت الدكتورة سعاد الأمين مصطفى بعمل محضر شرطة رسمي للحفاظ على حق حمص.

قطع هذا النقاش.. مريم التي كانت تبحث عن الدكتور وليد.

مريم: لو تسمحي يا دكتورة.. دكتور وليد هنا؟

سعاد: هو هنا بس معاه حالة... لما يجي أقوله مين؟

مريم: لا.. أنا هرجع تاني .

(٤)

سيدة غارقة في دمها معها جارتها التي تشتم كل من في طريقها.. لم تتوقف عن الشتيمة.. أجلسها عم محمد على سرير الجراحة.. وقف طارق أمام السيدة ليفهم ما سبب كل هذه الإصابات.. لكن السيدة لا تستطيع التكلم.. فقالت جارتها:

- جوزها الراجل الواطي.. قليل الضمير.. ضربها في كل حتة في جسمها بخرزانة بعد ما كتِّفها في كرسي.. ولما صرخت من كتر الضرب فتح دماغها بسكينة.

قال طارق لنفسه: "إيه اللي ممكن تكون عملته الست دي علشان كل ده؟"، لم يستطع كتم شهوة السؤال بداخله: ليه كل ده؟

فأجابته الجارة بصوت مختلف: هي بحق الله.. غلطانة.. رمت حتة الكيف بتاعته في الحمام.

أخيرًا تكلمت الزوجة المصابة وهي تكتم جروحها بيديها وملابسها كلها دم: أنا عايزة محضر إثبات حالة علشان أحبسه.. حسبي الله ونعم الوكيل تتشل إيدك يا بعيد.. يعمل معايا كدة وأنا كنت باصرف عليه وهو في السجن.. يوريني فيك يوم يا سعد يا ابن نوال.

طلب الدكتور من جارتها إحضار مستلزمات الخياطة.. حالة السيدة كانت سيئة.. قام الدكتور بخياطة جروح السيدة.. وجلس يكتب التقرير الذي يدين هذا الذئب..

وبعدها بقليل صرخت السيدة.. لأنها رأت زوجها قادمًا تجاهها.. تحرك الدكتور طارق وطلب الشرطة..

نظر الزوج إلى زوجتة وقال لها: ما خلاص يا صباح ساعة شيطان.. يلا على البيت.

انتظر طارق حضور الشرطة.. للقبض على هذا الرجل.. ولكن نظرت إليه الزوجة وابتسمت.. وتعلقت في ذراعه.. وخرجا وسط ذهول الدكتور طارق.

(٥)

محمد جمال ثقيل الوزن.. يتنفس بصعوبة.. زوجته تتألم .. وهو في أواخر الثلاثينيات من عمره.. كان منفعلًا منذ قليل.. وهو الآن في حالة تماسك ـ يبحث لزوجته عن حل.. يلف حول الدكتور طارق بحثًا عن حل لأزمة زوجته التي أجرت عملية جراحية هنا منذ شهرين وفشلت.. بسبب تلوث الجرح.. ولكن طارق لا يرد.. يطلب من زمزم الممرضة ـ ثقيلة الوزن والدم.. التغيير على الجرح الملوث.. تطلب منه شراء مستلزمات التغيير على الجرح.. لمَّح لها ـ أنه لا يمكن أن يترك زوجته ويخرج.. وابتسم.. ونظر إلى زوجته ـ قائلًا:

- الممرضة بنت الحلال هاتغير لك على الجرح..

ولم يقل الحقيقة بأنه لا يوجد في جيبه.. جنيه واحد.. وصمت قليلًا حتى يختفي حزنه خلف الصمت.. انكمش وجه زمزم ـ وقالت له بصوت مسموع للجميع:

- أنا مش فاهمة الليله المقرفة دي هتخلص إمتى؟ أنا دماغي وجعاني منكم هو أنت بتفاصل في إيه؟ فاكرني في الشارع.. أجيب من عند أمي.. أُف.

بسبب صوت زمزم المسموع للجميع ترامت على محمد جمال النظرات من كل اتجاه.. فاستجمع شجاعته.. وهمس في أذن زمزم.. قائلًا:

- إحنا في آخر الشهر..

برغم أنها جملة قصيرة ـ لكنها كانت ثقيلة القول والحمل ..فنظرت له زمزم نظرة.. أن هذا الأمر لا يعني لها شيئًا ـ وتركته..

وقف محمد جمال غاضبًا.. فبصق على الأرض ومسحها بحذائه.. وبعدها ذهب إلى دولاب التمريض.. استغل انشغال الممرضين في الإمساك برجل.. فقد أخاه في حادث.. وفتح الدولاب.. فوجده ممتلئًا عن آخره ..قام بالتغيير على الجرح لزوجته مجانًا.. من مستلزمات جاءت عن طريق السرقة.. لم يكن يتخيل في يوم أن يصبح سارقًا.. ولكي يرتاح ضميره ـ قال لنفسه: دي سرقة حلال!..

زوجته وهي تتألم تطلب منه أن يتأكد من موعد العملية غدًا في الصباح.. يذهب إلى كل الدكاترة.. لا أحد يرد.. وأخيرًا.. يعلم أن العملية تم تأجيلها للمرة الثامنة .. لا يعترض ويواصل التحرك البطيء بسبب وزنه ... خرج وفي يده زوجته ..واليد الأخرى بها المسروقات من شاش وقطن وكحول طبي.. وهو خارج سمع رجلًا يقف في المنتصف كقائد شعبي يصيح في الجميع فنظر له بيأس وكسرة.. مقتنعًا أنه مثله ـ لحظات وسيخمد.. . ظل واقفًا أمام عنبر الطوارئ ينظر إلى الجميع ـ يلعن كل ما ينتمي لهذا العفن.. يتمنى أن يبادله أحدهم نفس النظرات أو يعترض على هذه النظرة.. كان يتمنى أن يتشاجر مع أي أحد.. ليُخرج شحنة الغضب التي بداخله.. ولشدة البرودة .. قرر أن يرحل..

الأمطار تغسل الجميع.. ولكن ظل مبنى الطوارئ كما هو .

أمام الباب الخارجي سيدة تتكلم في التليفون.. لا تشعر بالبرد.. تنشر خبر. زوج ندى .

• جوزها دخل لقى صلاح مع مراته في سرير واحد.. راح حدفه من البلكونة.. وإحنا هنا في الطوارئ.. بس إسمع! اعمل نفسك ماتعرفش حاجة..

أصوات مواء القطط تقطع سكون الليل.. ينظر الجميع لبعضهم البعض . يبتسم أحدهم.. وآخر يسند ظهره للحائط المتسخ.. وآخر يجلس على الأرض فيرى آثار بقعة دم فيقف مرة أخرى.. أحدهم ينظر في ساعته.. ويتأفف بملل.. وآخر ببرودة الجو.. وآخر يمسك المحلول لرجل ملقًى على الأرض.. وأحدهم يعلق المحلول في أحد المسامير المثبتة في الحائط.. وهناك رجل يضرب طاقم النبطشية.. وأخرى جاءت في حادث اغتصاب.. ومنذ قليل.. أم ثُكلى - طفلها فارق الحياة- وآخر يلتقط صورة لتوثيق وجوده بالطوارئ.. أما هذا الرجل فكسره الفقر.. وظهر هذا الكسر على قسمات وجهه .

إمبارح حلمت !!!

هذا صوت لفتاة في أوائل العشرينيات.. أنيقة يبدو من أسلوب حديثها أنها بالتعليم الجامعي .. عيناها سوداوان.. والشفتان صغيرتان.. شعرها كثيف وطويل بني اللون.. بيضاء البشرة.. ترتدي تيشرت خفيفًا.. ولا تشعر بالبرد.. متوسطة الطول.. نحيفة إلى حد كبير.. لها ابتسامة مميزة.. تشبه العصافير في حركاتها المتتابعة.. والسلحفاة في خوفها.

دايمًا بسأل نفسي ـ هاعيش قد إيه؟ وهاموت فين وإزاي؟ السؤال ده بياخد حيز كبير من تفكيري.. برغم إني فاهمة من صغري إني يوم ما اتولدت طلع الفجر في حياتي.. وإن مع الأيام.. بيتسحَّب الليل.. وأكيد هاييجي.. عندي مليون سؤال عن نفس الموضوع ..وماعنديش أي إجابة أكيدة.. لدرجة إني بشوف الموت ..في أحلامي.. وبعد كل حلم ماعرفش أنام.. مرة شوفته بلطجي ومرة شوفته راجل شيك جدًّا ومبتسم.. ومرة شوفته مجنون.. ومرة راجل عابث كئيب صوته بيهز كل حاجة في المكان.. ومرة طفل جميل ووسيم.. ومرة وحش مرعب.. كل حلم بيخليني أخاف أكتر من الأول.. أنا في الحقيقة جبانة.. لكن بعد كل كابوس أهدى.. وأقول لنفسي دي نهاية طبيعية.. إن كل الناس هاتموت.. الفرق بس.. إن واحد بيعيش خمس سنين أقل.. والتاني بيعيش عشر سنين زيادة.. منهم سنتين مريض ـ يتمنى الموت.

لحظات صمت وسط الأمطار.. تواصل حديثها: دلوقتي علشان مابقاش جبانة.. قررت إني أواجه كوابيسي.. مرة نمت واستنيت الموت ييجي في

الكابوس ..وفعلًا جاني.. كنا في عيد ميلاد ـ وشوفته في البلكونة لابس طرطور وفي بؤه صفارة وماسك في إيده هدية.. إتسحبت من وسط الزحمة.. كان بيبص على الشارع.. ودخلت من وراه مسكته من رجليه الاتنين.. جاتلي قوة غريبه شيلته ورميته في الشارع.. وقع ميت.. من ساعتها بطلت أخاف من الكوابيس وبقيت بنام.. بقى أي حاجة أخاف منها أواجهها.. أواجه الوجع بالصراخ.. أقابل الكره بالحب .. أواجه النفاق بالصراحة.. الكدب بالصدق.. لأني هاعيش مرة واحدة.

تفتح زجاجة المياه المعدنية وتشرب: عارف يا دكتور أنا أكتر حاجة بتعذبني إيه؟... إني حاسة إني هاموت ـ وإني مقصرة في حق نفسي ـ وفي حق الناس إللي بحبهم.

كانت تسجل مقطعًا صوتيًّا للدكتور النفسي قبل أن تأخذ المنوم لكي تنام.. فجلست كوكي مبتسمة لأنها أول مرة تتكلم منذ فترة كبيرة.. وراحت في النوم.. دون أن تأخذ الحبوب المنومة .. وهذا لم يحدث منذ فترة كبيرة.

(الخوف من الموت.. موت.. قد يمتد مدى الحياة)

(أحلام مستغانمي)

هاتعملي إيه ؟؟؟

ندى ـ تجري وسط عنبر الطوارئ ـ وكأنها تصارع أمواج البحر.. كأنها تضرب بيديها الأمواج لتتحرك للأمام.. جاءها خبر.. أن صلاح زوجها ـ في غرفة العمليات إثر حادث مجهول.. شعرها منكوش ـ ملابسها غير منسقة.. يظهر على ملامحها انزعاج كبير.. على الرغم من كونها صاحبة ملامح جميلة ورقيقة .. تمسح من على وجهها مياه الأمطار الغزيرة .. تستقبلها أمها.. ترتمي في حضنها.. وتدخل في نوبة بكاء شديد.. ولكن الأب غاضب.. يسند يده على حائط ملطخ.. وفي الجانب ممر معتم.. وفي الجانب الآخر.. كريم ـ يحمل سندس ـ ابنته الصغيرة ـ تبكي من شدة الألم.. في انتظار دورها لعمل أشعة على قدميها<

أمها: ماتخافيش يا حبيبتي هو كويس !

ندى: عايزة أفهم يا ماما صلاح ماله ؟.. عمل الحادثه إزاي ؟

الأم وجهها في الأرض.. وبصوت حزين.. تخبر ندى أن صلاح زوجها.. أصيب بكسر متفتت في قدميه.. وسيحتاج أكثر من عملية لتركيب شرائح ومسامير.. ولم تكمل ما هو سبب الحادث.. وأشاحت بوجهها إلى الجانب الآخر.. واضح من وجه الأب أنه منزعج ..يخرج عن صمته<

أبوها: ما تكملي لبنتك.. صلاح عمل الحادثة إزاي..

تنظر الأم.. لا تعرف كيف تتكلم.. قالت في نفسها ـ ماذا سيحدث لندى بعد سماع تفاصيل الحادث ؟

ترد ندى بسرعة دون تردد.. لا تنتظر أن تسمع إجابة الأم: بالعربية !! هو متعود يسوق بسرعة.. ياما قولتله كتير.. بلاااش السرعة .

أبوها يقاطعها غاضبًا: العربية بتاعتكم برا سليمة.. مافيهاش حاجة .

تمسح دموعها وتقف تدعو أن تمر الأمور بسلام.. دارت بعينيها في كل أركان المكان.. وكان وجهها الأبيض قد تحول إلى اللون الأحمر.. واستمرت في الدعاء.. ولكن ظل الأب منزعجًا وغاضبًا.. يريد الرحيل من الطوارئ.. وهو ينظر إلى حادث لولد ـ اسمه حمادة ـ صدمه رجل ثري.. أمسك به أهل الشارع.. وحضر مازن معهم إلى هنا مجبرًا.

أبوها: حاجة قرف وزفت.. أنا عايز أمشي.. ياللا يا أم ندى .

نظرت ندى في ذهول كأنها أول مرة تتعرف على أبيها الرجل الأصيل الذي يقف بجوار الجميع .. فكيف يترك صلاح في مثل هذه الظروف.. صلاح ابنك.. حسب قولك.. وهل يُعقل أن تترك ابنتك الوحيدة في هذا الموقف.. فأنت سندي في الحياة ؟..

نظر الأب إلى الأم يشير إليها أن تحكي لندى ما حدث.. ولكن رفضت الأم أن تحكي.. فنظر إلى ابنته في انفعال.. وأغمض عينيه للحظات.. إنه لا يعرف من أين يبدأ الحكاية.

أبوها: جوزك المحترم.. إللي إنتي بتعيطي عليه إتمسك عند واحدة.. جوزها دخل عليهم الشقة الراجل جري على المطبخ جاب سكينة ضرب مراتة خمس طعنات.. وهي في العناية المركزة.. وصلاح جري على البلكونة ونط من الدور التالت.. وقبل ما ينط قام الراجل طعنه بالسكينة في كتفه.. وقع صلاح على رجليه الإتنين اتكسروا.. نزل الراجل علشان يقتله.. كان

أهل الشارع اتجمعوا ومسكوا الراجل.. وأخدوا السكينة منه.. الراجل راح القسم ـ وجوزك المحترم والهانم إللي كانت معاه.. جايباهم عربية إسعاف واحدة.. بالهدوم الداخلية.. ودمهم سايح.. والصحافة كانت هنا.. وبكرة هايكون خبر رئيسي في كل الجرايد

تظهر الصدمة عليها.. تعلقت عيون ندى واحمر وجهها وكأنها أصبحت تمثالًا نحاسيًّا.. ظلت مكانها.. توقفت الكلمات في حلقها.. تجفف دموعها.. تجلس على الأرض.. تضع يدها على رأسها.. تتغير ألوان الدنيا في عينيها.. اصطبغ وجهها بلون آخر.. زاد صوت المطر والرعد.. البرق المضيء يصدر في عيني ندى.. خيال ندى عن خيانة صلاح.. .. الكر والفر في كل مكان.. كمقطوعة موسيقية مكتملة عن الحرب..

أخيرًا ندى تتكلم: دا جوزي من عشر سنين أبو بناتي .. ليه كده؟

أبوها: ده خاين ـ خسارة وقفتنا في الطوارئ في عز البرد علشانه.. ياللا يا أم ندى (ينظران إلى بعضهما) يا ندى.. هاتيجي معانا ولا.. لأ؟

ندى جالسة صامتة لا ترد.. في هذه اللحظة يتوقف الزمن للحظات.. يختلط في قلب ندى مشاعر مختلطة من الحب والحزن والوجع والحنين . تظهر دموعها مرة أخرى.. لا تستطيع أن تتحرك.. لا تصدق أن زوجها الرجل المثالي يخونها..

وأخيرًا قالت لنفسها: باحاول أبرر موقفك علشان أفضل جنبك.. وما ابقاش قليلة الأصل.. إني أسيبك في أكتر وقت محتاجني فيه.. طيب دي أول مرة تخونَي؟ ولا بتخوني على طول.. وأنا حمارة ـ ومش واخدة بالي.. طب أنا قصرت في إيه؟ ده حتى صحابك بيقولولك عليًّا.. إني ملكة جمال.. أنا

قرفانة منك وبحبك.. إنت ماخونتنيش لوحدي.. إنت خُنت بناتك . وسُمعتك ونفسك.. فضيحة هاتفضل معانا . زي ضلنا . أنا وبناتك الاتنين.. وصعب أسامحك . وصعب أنسى.. (تبكي) أنا عايشة معاك بمنتهى الأمانة.. خُنتني ليه؟ ..عشر سنين جواز. حبيبتي . نورعيني . كل حياتي . كل ده كان كدب ؟.. أنا هاتجنن !

ندى تتوقف عن الكلام إذ إن البكاء خنق صوتها.. بعد قليل شعرت أنها من المفروض ألا تبكي.. لأنه لا يستحق البكاء !.. فمسحت دموعها.. وأخذت نفسًا عميقًا بكل عفن المكان.. ثم عادت تبكي مجددًا. حيث إنها لا تستطيع أن تتوقف عن النسيان.

يعود أبوها وأمها إليها . يأخذها أبوها في حضنه . ويبكي . فهو السند الحقيقي.. كانت ندى تحتاج إلى هذا الحضن.. ولكن هي في حالة من الذهول.. تبكي بكاءً مرًّا . ولا تنظر إلى أحد.. يأتي بعض العائلة . يسألون عن أخبار صلاح.. يسألون . وعندهم الحقيقة.. تترك ندى الجميع وتجلس في الجانب على الأرض ولا ترد على أي سؤال لأحد.. نظرت ندى إلى كل بنات العائلة التي لم ترهن من سنين.. رأت وجوههن الحزينة وعيونهن السعيدة!.. جاءوا لتكتمل الفضيحة.. تزاحمت الأسئلة من رجال العائلة. وظل الأب لا يعرف كيف يجيب . وقف شارد الذهن أمام الحضور العائلي .. وهو يتمتم بأقوال لا أحد يفهم منها أي شيء.. برغم أن السؤال بسيط.. ما الذي أصاب صلاح ؟.. واضح أن أسلوب المراوغة بين الرجل والعائلة لن يدوم طويلًا . فساعات وتنشر الجرائد الخبر بكل تفاصيله .. ظل يفكر أيتكلم أم يصمت.. نظر إلى الجانب الآخر فوجد ندى جالسة على الأرض تبكي.. وأمها

تبكي بجانبها.. بينما بنات العائلة ينظرن إلى بعضهن بنصف ابتسامة..

بعد صمت طويل جمع الرجل شتات نفسه وقال: كسر متفتت في القدم اليمنى ـ وآخر في اليسرى.. ولكن لم يستطع أن يفسر كيف وقع الحادث!!!..

ولكنه تأكد أن الفضيحة على وشك الإعلان عنها.. ثم عادت ندى إلى البكاء.. وبعد لحظات تسمع صوت بنتها في خيالها تسألها. إيه إللي حصل لبابا ؟.. تخبط بيدها على الأرض ـ بينما تسند رأسها على الحائط .. حضنتها أمها وقالت في سرها.. من الأفضل أن يموت ـ كي تموت الفضيحة معه.. يراقب الأب ابنته الجريحة ولا يستطيع أن يتكلم..

تقطع هذا التفكير.. يد الأمين مصطفى ـ على كتف الأب.. يسأل كيف وقع الحادث ليسجل الواقعة.. في محضر رسمي.. نظر الأب إلى الأمين مصطفى ونظر إلى العائلة.

(كم مرة.. هزمتنا الخيانة.. بدون قتال)

(سعد الله ونوس)

ريباريل جل

بتخاف من الحيوانات المفترسة ؟

بخاف من الناس أكتر ! !

أعظم مكسب !!

هدوء نسبي للحظات يأخذ طاقم العمل بعض الأنفاس.. فقد فر بعض المتشردين ـ عندما أبلغ الأمين مصطفى بوجود أعمال شغب.. الآن تشعر بصوت موسيقى حزينة تغلف المكان.. موسيقى تحمل إحساس أن لا أحد يستحق كل ما يحدث من حولنا.. وكلما زاد إحساسك ارتفع صوت الموسيقى.. لا يزال الازدحام موجودًا ـ والأصوات تتعالى.. كل من له طلب يعلو صوته صارخًا.. رحمة تنظر إلى المحلول المعلق ـ تتابع تقاطر النقاط وتنظر إلى زوجها ـ حسن ـ من كثرة التعب كسب النوم جولة ـ وراح حسن في نوم عميق.. بعد صراع طوال الليل من أجل.. سرير.. ومحلول.. ومُسكن ـ مجاني.. رحمة تقذف على جبين حسن المناديل.. يفتح عينيه ببطء شديد.. تبتسم في وجهه.. فيبتسم.. ينظر إلى الساعة التي بيده.. فيستشعر مرور الوقت

حسن: بقالي يومين مانمتش بس الساعتين دول زي الفل .

رحمة: ممكن تقرب مني علشان أنا مش هاعرف أقرب بالمحلول ده .

يقترب حسن من رحمة تمسك يده وتنظر إليه نظرة طويلة عميقة.

رحمة: أنت أعظم راجل في الدنيا.. أنت كنز مالوش مثال يا حسن.. أنا بحبك ولو هاموت مش فارق معايا غير حاجة واحدة إني مش هاشوفك تاني.. حاجات كتير أوي كان نفسي أعملها معاك وماعرفتش.. ضحكت علينا الدنيا بسرعتها المجنونة.. كنا فاكرين إن لسّا في وقت.. ولسة بدري.. زعلانة عليك علشان هاتقعد لوحدك.. حاول علشان خاطري إن حياتك ماتقفش

عليا.. كفاية إللي عملته معايا.. عمري ما هانسي كل يوم عشناه.. كل الحاجات إللي عملتها علشاني.. ربنا هايجزيك خير عليها .

يضع يده على فمها كي تصمت.. وحتى إن صمتت رحمة فما زال صوت البكاء صداه ينبعث في كل أركان الطوارئ.. هشام وفردوس يبكيان لفقدهما أخاهما إسلام.. الذي توفي منذ قليل في حادث.. وصراخ حمو الذي فقد عينه.. الدكتور وليد فقد أعصابه من شدة الازدحام.. وعم محمد الممرض يجول في أرجاء العنبر وهو خادم لمن يدفع !.. يمسك حسن يد رحمة ويقبلها.

قبل عشر سنوات من اليوم

نقطة البداية.. رجل بدين يتحرك ببطء . وصعوبة . من السهل سماع صوت أنفاسه . أسود اللون يتكلم بلهجة الشوارع . اسمه حسن . حاصل على دبلوم صنايع.. يمسك بيده بنتًا بارعة الجمال كأنها أحد نجوم السينما العالمية . اسمها رحمة . خريجة كلية الصيدلة.. لها ابتسامة ساحرة . ما إن تبتسم حتى يرى كل من حولها كأنها شروق الشمس.. في الحقيقة صار الأمر حديث الحي كله عن رجل يشبه الخنزير الضال في الدروب . تزوج من فتاة جميلة . يكبرها في العمر بخمسة عشر عامًا.. ولكن ما إن تسمع قصة زواجهما حتى تتأكد أنها جوازة مصلحة.. اشتراها بالنقود . وهي باعت نفسها بجمالها . من أجل رفاهية الحياة.. الصفقة الحقيرة لا تحتاج إلى تفسير .

وبمرور أقل من عام لن يستمر الربيع . يتحول الربيع إلى خريف . ويتحول الخريف إلى شتاء شديد البرودة . يستيقظ سكان الشارع في منتصف الليل على صوت عربة البوليس . تمسك حسن بتهمة الرشوة

والغش في أعمال البناء . هي تقف تضع يدها على رأسها.. ودموعها تتساقط.. أثناء نزوله درجات السلم يتعالى صوته بالسباب.. يرقب كل سكان العمارة المشهد في سكوت

تناثرت الإشاعات كالنار في الهشيم . البعض يقول إنه تاجر آثار. والبعض ادعى أنه تاجر سلاح . وآخر أشاع أنه تاجر مخدرات . ومنهم من قال إنه جاسوس . كما روج البعض أنه تابع لمنظمات أجنبية تعبث بأمن البلاد.. وبعد أيام كتبت إحدى الجرائد عن ضلوع . حسن . في قضية رشوة كبيرة.. وهو محبوس على ذمة التحقيق.. ما إن تنزل رحمة إلى الشارع حتى تسمع كلامًا كطعنات السيوف.

"الغراب أخد اليمامة وساب العش.. هي الملايين فين يا حبيبتي؟ محبوسة !.. يا واخد القرد على ماله.. حد يرد ياناس هو ده يتحب إزاي ومنين !.. يا خسارة الحلاوة.

ولم يكن بوسعها إلا أن تسمع وتصمت... يدق الهاتف . رقم مجهول.. إنه الدكتور محمد جلال.. يرجو رحمة ألا تنهي المكالمة .. طلب منها نسيان ما حدث.. وعرض عليها رغبته في الزواج منها ...وطلب منها أن تبدأ معه صفحة جديدة.. لم تتردد رحمة في رفضها لعرض الدكتور.. وبلهجة حادة طلبت منه أن يبتعد عن طريقها.. وألا يكرر الاتصال مرة أخرى فهذه قصة انتهت . ووراها الزمن.. ولكن يظل الاحترام بينهما.

وبعد مرور شهر من حادث حبس زوجها.. تضطرها الظروف للعمل في إحدى الصيدليات القريبة من المنزل.. من ٨ صباحًا حتى ٤ مساءً.. وبعد مرور ثلاثة أشهر.. يدخل الصيدلية محمد جلال.. حب الجامعة القديم.. وهو شاب أنيق . وسيم . يرتدي بدلة كحلي وقميصًا أبيض . نظارة شمسية

كأنها تابلوه مرسوم على وجهه.. يمسك بيده شنطة يد قيمة.. ما إن دخل الصيدلية حتى فاحت رائحة عطره وعمت أرجاء المكان.. تسمر مكانه.. رحمة وجهها للأرض.. فترة من الصمت المتبادل.

رحمة: أفندم .

جلال: وحشتيني.. زي ما إنتي يا رحمة ما تغيرتيش.. تعملي جامدة وقوية وإنتي من جوة بسكوتة.. سيبتيني مش عارف ليه وإزاي؟.. في أقل من شهر تقرري تبعدي ـ وتتجوزي ـ هونت عليكي ـ عمري ما نسيتك ولا هانساكي .

رحمة: في حاجة تاني عايز تقولها؟ إتفضل حضرتك ـ محتاج حاجة من هنا ؟

جلال: عايزك تسمعيني... إللي من حقه يزعل أنا ـ مش إنتي .. مين إللي خان الوعد وماوفاش بالعهد ـ أنا ولا إنتي ؟.. إتجوزتي قرد وفي الآخر إتسجن وسابك.. وهايتحبس مش أقل من عشرين سنة!.. فكري في حبي ليكي !.. في إللي عملته علشانك ـ وجيتي إنتي بمنتهى البساطة دوستي على أحلامي برجليكي.. وأنا لسّا بسامح وفاتح إيدي.. أنا ليا عندك كتير.

رحمة: إتفضل أخرج برا يا دكتور .

جلال: ده قرارك الأخير؟ لو خرجت من هنا.. مش هاتشوفيني تاني .

رحمة تقف ترص أدوية على الرفوف: شرفتني يا دكتور مع السلامة .

جلال: أنا خارج.. بس عايز أقولك إني مش مسامحك على كل السنين إللي فاتت .

لا ترد ـ ويخرج جلال ـ تتغير ملامح رحمة.. تمتلئ عيناها بالدموع ـ تجلس على المكتب.. تبكي بحرقة شديدة ـ

وبعد مرور ستة أشهر على حبس حسن.. يطرق أحدهم الباب مساءً.. تفتح رحمة.. صاحب العمارة ـ رجل غليظ الطباع.. ينظر إلى رحمة نظرات طمع ـ يتفحص رحمة بعينيه.. يطلب منها الدخول ليجلس معها.. ترفض.. يعرض عليها الجواز مقابل التنازل عن أقساط الشقة المتأخرة.. يغريها بأن يودع مبلغًا في البنك باسمها. وسيارة هدية.. ترفض رفضًا نهائيًا.

المعلم: يعني أنا مش أحسن من القرد اللي اتجوزتيه علشان فلوسه.. أنا معايا فلوس أكتر منه.. تتاقلي بالدهب يا دكتورة .. نظرة رضا منك تفتحلي أبواب الدنيا المقفولة .

تغلق الباب في وجهه.. وتسند ظهرها على الباب باكيةً..

المعلم لا يزال واقفًا يتكلم من خلف الباب.

المعلم: طب إسمعيني كويس ـ الفلوس مقدم الشقة دي يدوبك تشتري بيها الروف.. من بكرة الشقة تفضى.. أنا غلطان.. الزبالة تحب الزبالة .

في صباح اليوم التالي قامت رحمة بنقل العفش للروف وتركت الشقة.. مرت سنة وكأنها ألف سنة.. من بنت جميلة ملامحها كلها حياة.. إلى بنت ملامحها كئيبة.. في إثبات قاطع أن الحزن يغير الملامح.. قررت أن تعمل في الصيدلية فترة أخرى.. فأصبح العمل من ٨ صباحًا حتى ١٢ مساءً ... تسير الأيام على وتيرة واحدة..

تمر ثلاث سنوات.. لم يتوقف فيها المعلم صاحب العمارة عن محاولاته للفوز برحمة ..... في الساعات الأولى من الصباح تسمع طرقات على الباب ظنت أنه الرجل مالك العمارة وقفت خلف الباب ولم تتكلم.. تسمع الطرقات مرة أخرى.

- مين .

- أنا حسن يا رحمة .

عاد الزوج بعد مرور ثلاث سنوات خلف القضبان ... فترة عصيبة من التعب والضغط النفسي لكليهما.. تفتح الباب الخشب.. تنظر إليه من خلف الباب الحديد.. تفتح الباب الحديد.. ينظران إلى بعضهما .... رحمة ملامحها ثابتة.. تنظر إلى حسن وقد تغير شكله.. فقد الكثير من وزنه.. يقترب منها وتقترب منه.. ملابسه ممزقة ـ حذاؤه عفا عليه الزمن.. هي شعرها ملفوف.. يظهر العفش المتراكم فوق بعضه لضيق الروف.. أخيرًا تبتسم رحمة وحسن يغمض عينيه.. تزداد الابتسامات تدريجيًّا.. ترتمي في حضنه.. ويبكيان معًا.. بكاءً مرًّا.. يجسد ما كابده كل منهما في غياب الآخر.. وبعد فترة .....)

- أنا مظلوم يا رحمة ـ ضحكوا عليا .
- عارفة إنك مظلوم .
- طول السنين إللي فاتت وأنا بفكر فيكي.. وقولت رحمة سابتني.. ماتعبتش من السجن قد ما تعبت من خوفي إنك تسيبيني.. لما وصلت وطلعت الشقة.. وقفت أخبط وإنتي مابترديش.. نزلت قعدت في الشارع ودموعي خانتني.. لقيت البواب قالي حمدالله على السلامه وقالي إنك في الروف.. زي ما أكون مُت وصحيت تاني (تحضنه وتضحك)
- إحنا مش هاندخل ؟.. ولا وقفة السطوح عجباك ؟.. إنسي بقى كل إللي فات.

ظل حسن يحكي كل ما حدث في سنوات السجن.. استمر الحكي ولكن رحمة لم تخبره ما يحدث من المعلم.

رحمة: خلينا نبدأ من الأول.. أنا مرتبة إننا هنبدأ من الأول.. خد يا

حسن كل الدهب إللي إنت جبتهولي في الخطوبة.. وأنا اشتغلت الفترة إللي فاتت ومعايا فلوس .

• أنا عندي أرض كبيرة في إسكندرية هاتجيب مبلغ كويس.. هافتح شركة مقاولات صغيرة على قدي ونعيش بالحلال .

• تعرف إن السجن طلع مفيد! إنت خسيت جدًّا ..عملولك رجيم قاسي.. وحشتني يا حسن.

تمر سنوات من التعب والاجتهاد.. رجعا للشقة نفسها بعد دفع الأقساط.. أصبح لديهما سيارة.. كل سكان العمارة.. اعتادوا رؤية الراجل الملخبط (الدب الإفريقي).. متجوز (الغزال الأسترالي) ـ الدكتورة الجميلة رحمة.. بقى شيء طبيعي .

لكن لا يستمر الحال كثيرًا.. تتغير الأحوال.. تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن.. رحمة مريضة وكل الشكوك تشير إلى أنها مريضة بمرض خطير.. طلب الأطباء بعضًا من التحاليل والإشاعات لتشخيص الحالة وبعدها قرر الأطباء التدخل الجراحي العاجل.. يصر حسن على إدخال رحمة أكبر المستشفيات الخاصة الدولية..

بعد مرور سنة وخمسة أشهر يضطر حسن لبيع السيارة والشقة.. ويعودا من جديد إلى الروف... ومن مستشفى خاص دولي إلى مستشفى خاص محلي.. ومنه إلى طوارئ مجانية ... أصبح تعاطف الناس معهما شديدًا .

نعود إلى رحمة وحسن في الطوارئ

رحمة تطلب من حسن أن يقترب منها أكثر.. تمسك يده بقوة.

رحمة: إنت أعظم راجل في الدنيا.. سيبني أكمل كلامي علشان تعبانة.. لما شوفتني وأنا في الكلية وعرفت إني بنت الملجأ.. صممت تتجوزني على الرغم إني ماليش أهل.. ولما عرفت في الملجأ إني مريضة قلب ومابخلفش.. وقولت هاتتجوزني ..وحاربت أهلك علشاني.. ولما رفضت تتجوز قريبتك إللي عندها ملايين.. ولما إتسجنت ظلم ودُقت مرارة الحبس.. وإتاخد كل فلوسك.. وماحدش من أهلك وقف جنبك ورجعت تاني وقفت من جديد.

حسن يقبل يد رحمة.. تعبر بجانب السرير الدكتورة رضوى.. تنظر إليها بحب.. وتخبرها أنها أفضل..

تنظر رحمة إلى حسن: لما جاني الكانسر الضيف التقيل . وفضلت ماسك إيدي . وبعت كل حاجة علشاني . ورجعت تاني لنقطة الصفر . وإنت عارف كويس إني مش هاقوم منه وهاموت . شبح الموت بيقرب مع كل جلسة.. إنت ربنا بعتك ليا يا أبوعلي ..ربنا بعتك تعوضني عن حضن أمي إللي ماعشتوش وعن ضحكة أبويا إللي ماشوفتهاش.. ربنا بعتك ليا . طفلي . علشان أجرب إحساس الأمومة.. إنت إستحملت كتير علشاني . الناس كانت تقولك دي متجوزاك علشان فلوسك ..وكان ممكن تدافع عن نفسك وعمرك ما عملت كده.. إستحملت كلام زي طعنات السيوف علشاني كان نفسي أكمل عمري جنبك.. أوفي جزء من ديونك.. بس السرطان كان ليه رأي تاني . إن الرحلة تخلص.

حسن: كفاية بقى يا رحمة أرجوكي.. ماتقوليش أي حاجة.. إن شاء الله هاتعيشي.. وهانكمل الرحلة سوا .

ألقت عليه نظرة بطعم الحب ـ والخوف من الوداع.

رحمة: لو في كلمة أقوى من بحبك كنت هاقولها.. هابقى مبسوطة إن وسط زحمة شغلك تفتكرني وتقول.. كانت بتحبني.. ده هايرضيني على فكرة.. أنا أسفة لو كلامي بيوجعك ! طول عمرك تقولي الحقيقة بتوجع.. بس بتريح

حسن: مافيش حاجة ترضيني غير وجودك جنبي يا رحمة.. عشان خاطري أسكتي .

يمسك يدها بقوة ويقبلها.

حسن: كل إنسان معرض للمواقف.. والوجع.. لكن زي ما إتعودنا ـ إننا نقف ونبدأ تاني . وإيدك في إيدي.. إحنا ماخسرناش حاجة علشان نزعل عليها.. إنتي أعظم مكسب.. لسّا في أماكن كتير هانروحها سوا.. لسه فيه أحلام كتير هاتتحقق.. طرق أكل جديدة هاتتعلميها من النت ـ وتجربيها فيا.. انا مابعرفش آكل بالشوكة والسكينة لسّا هاتعلميني.. ولسة هاتعلميني انجليزي . ولا إيه؟

يبتسم ـ فتبتسم رحمة.. تتجمد دموع حسن في عينيه: على فكرة أنا راجل عادي جدًّا.. إنتي إللي مش عادية.. في قمة تعبك بتنسي الألم ـ وتفتكريني .

تسيل الدموع على خديها ـ تثبت النظرات خلف الدموع والابتسامة.. يصطدم الهواء بالشباك . توقفت دموع رحمة.. جلس حسن على حافة السرير فوضع يده على يدها.. ووضع أُذنه على قلبها فلم يسمع شيئًا .. تعلقت أنفاس رحمة وسط هواء عنبر الطوارئ الملوث .. تموت رحمة بين

يدي حسن .. صاح حسن بقوة الرعد.. وبكى بقوة البرق.. ثم احتضن رحمة حضنًا كبيرًا . وانفجر في صراخ مدوٍّ . بث الرعب . والأسى . في قلوب الجميع..

حضنت وفاء ابنتها سندس المكسورة وابتعدت عن المكان.. أمسكت دعاء يد أمها بقوة وهي تبكي لدموع حسن.. عاد خالد ومؤمن بعد التبرع بالدم إلى مكانهما.. تحرك تجاه حسن الدكتور طارق وظل صامتًا.. ومن بعده رضوى.. صرخت رضوى في طاقم التمريض.. لا يزال النبض يعمل.. هي في حالة إغماء ..وأنها ما زالت على قيد الحياة.. لم يتوقف حسن عن الدعاء.. أصبحت عيون كل من في الطوارئ تنظر تجاهه ..وتلهج الشفاه بالدعاء.. جلس حسن على الأرض باكيًا.. كأنه حيوان مفترس قطع من جسده قطعة كبيرة.. وبعد فترة.. فتحت رحمة عينيها.. فابتسمت رضوى لأول مرة هذه الليلة.. قبل حسن يد رحمة وبعدها بكى.. كطفل تركته أمه في صحراء.. نظرت له رحمة وابتسمت.. وأغمضت عينيها للحظات.

حسن: إنتي هاتعيشي.. مش هاتموتي يا رحمة.. صح؟

رحمة: هاعيش لغاية ما.. أعلمك تاكل بالشوكة والسكينة .

يضحك وهو يحضن رحمة وهي تضحك.. برغم كم الألم . وهو لا يزال يبكي.

(نحن لا نموت حين نفقد من نحب . . فقط نكمل الحياة بقلب ميت)

(هيلين كيلر)

زيارة مندوب !

المندوب: صباح الخير يا دكتور طارق أنا دكتور فلان من شركة (.....) للأدوية.. كنت كلمتك الساعة عشرة.. وقولتلي إنك سهران النهارده في الطوارئ.

طارق: بداية كدا أنا لسا ماعنديش عيادة علشان الشركات تكلمني.

المندوب: الزحمة إللي إنت واقف فيها دي أحلى من ألف عيادة.. اختصارًا لوقتك إنت عارف المرهم ده بـ٧ جنيه . إحنا عندنا نفس المرهم ب ٧٥ جنيه.. والمريض النهارده بيقتنع إن العلاج ده مفيد من سعره.. حتى لو هو هو.

طارق: مش أنا يا دكتور إللي بعمل الشغل ده.. الناس دي لو معاهم مش هاييجوا المكان ده.. يعني يكشف ببلاش وأنا أستغل الموقف وأكتبلهم علاج مالوش لازمة بالمبلغ ده.. أنا آسف طلبك مرفوض .

المندوب: إنت فاكر نفسك إنك كدا صح.. إسمعني كويس إنت لسه بتبدأ حياتك.. كل الدكاترة الكبار شغالين كده.. إنت تفيد الشركة والشركة تفيدك.. أي دكتورعايز تكييف في العيادة جاهزين.. إللي عايز أسبوع في شرم الشيخ.. وإللي عايز نسبة من كل علبة.. وإللي بياخد حقه ناشف.. ويقول للمريض هات العلاج من الصيدلية إللي تحت . علشان يقبض كمان من الصيدلية.. وإللي يقول للمريض ماتجبش بديل.. شغل كبير. إحنا في سوق . والشاطر إللي يعرف يستفيد .

طارق: عايز آي فون.

المندوب: عيني ليك.. هاتكتب كام علبة.. علشان أسيبهم في الصيدلية إللي قدام الطوارئ.

طارق: إللي انت عايزه .

ماينفعش ؟!

من الواضح أن الأرض في عنبر الطوارئ مع زيادة الأمطار أصبحت سوداء من أثر أقدام الناس المحملة بالطين ووحل المطر. صاحب البطولة في هذه الليلة المؤلمة.. ما زالت السحب خارج الطوارئ غاضبة.. كانت وفاء جالسة على حرف سرير. متوسطة الجمال وبجانبها سندس ابنتها. تبكي ألم كسر في القدم اليمنى.. سندس عمرها ست سنوات. قبل ساعة كانت تلعب أمام المنزل قبل أن نسمع فرملة عربة في وسط الشارع.. كريم زوج وفاء محاسب في شركة خاصة. وسيم. مهتم بمظهره.. يأتي من بعيد مبتسمًا. في يده إشاعة قدم سندس.. أخبر وفاء بأنها لا تحتاج لتدخل جراحي.. ولكن ستوضع قدمها في الجبس لمدة أربعة أسابيع.. أمسك أسامة صديق كريم ورقة الطلبات ومستلزمات التجبيس. وطلب من كريم أن يجلس مع زوجته على أن يذهب هو بدلًا عنه.

تنفست وفاء الصعداء: الحمد لله.. مش تخلي بالك يا سندس. مش قلنا أنا وبابا لازم نبص على العربيات الأول .

كريم: الراجل صاحب العربية عايز منك يا سندس تعويض.. كسرتي العربية.

يضحك الجميع، يقطع هذا الضحك والشعور بالاطمئنان.. مروة. ممشوقة القوام. التي تقترب من بعيد. جميلة. تترصدها العيون أثناء مرورها.. عطرها مميز. رائحته جذابة.. مروة صديقة كريم في العمل. جميلة وأنيقة جدًّا.. تعمل في نفس مكتب كريم منذ عام كامل.. تنظر مروة إلى

كريم من بعيد وتبتسم ابتسامة إعجاب شديدة... وعندما وصلت إليهم وقف كريم ليسلم عليها بحماس شديد.

كريم: إزيك يا مروة.

يقدمها إلى وفاء زوجته التي بنظرة واحدة تفحصتها: دي وفاء المدام.. مروة زميلتي في المكتب

وفاء (تقف): إتشرفنا

كريم: إيه الصدفة الغريبة دي.. في حد تعبان تبعك.. خير ؟

مروة (مبتسمة بخجل): لأ مفيش حد تعبان ـ أنا جاية علشانك !.. عرفت من أسامة إنك هِنا علشان سندس بنتك رجلها إتكسرت .

وفاء التي تشعر بشيء غريب يحدث بداخلها: فيكي الخير!

خجلت مروة وأصبح وجهها يميل إلى اللون الأحمر من شدة الخجل والتردد: ماتقوليش كده.

شعر كريم بصعوبة الموقف فحاول تغيير الموضوع بالنظر إلى الحاج عربي ـ رجل عجوز ـ طلب الدكتور وليد وضع محلول له ولكن زمزم لم تهتم.

شكرها كريم وأخذ يترقب نظرات وفاء..

وضعت مروة يدها في الشنطة وقالت: كريم خلي دول معاك أنا عارفة إننا آخر الشهر كلنا بنبقى مشطبين.

يرفض كريم

مروة: إسمع كلامي بعد إذنك علشان مزعلش منك.

مروة ملحة بابتسام: إمسك يا ابني ماتتعبنيش معاك.. علشان خاطري يا كريم خدهم.

كريم: لو محتاج هاقولك مش هاتكسف.. كفاية إنك تعبتي نفسك وجيتي.

كان كريم محرجًا جدًّا.. وما زالت الفلوس في يده.. كان الأمر في غاية الصعوبة لوفاء التي وقفت منتظرة رد فعل كريم الصامت عديم التصرف.. خرجت وفاء من ثباتها ..تحركت تجاه كريم... وأمسكت النقود لتضعها في يد مروة.. وطبعت على وجهها ابتسامة كاذبة.. ففهمت مروة معنى هذه الابتسامة.

وفاء: شكرًا ليكي يا مدام مروة

مروة محاولة الخروج من الإحراج: طيب يا كريم إبقى طمني على سندس (تنظر للبنت) ألف سلامة عليكي يا قمر. باي يا جماعة.. على فكرة يا مدام وفاء.. أنا آنسة (تزداد حدة النظرات)

كريم: شكرًا تعبناكي معانا يا مروة.

بعد لحظات من الصمت سلمت مروة على سندس ووفاء وهي بملامح حادة.. وعلى العكس سلمت على كريم مبتسمة.. مشت أربع خطوات ـ ثم عادت ـ مبتسمة بخجل.

مروة: أستاذنك يا مدام وفاء ممكن أستاذ كريم يوصلني لغاية العربية.

تبتسم ابتسامة صفراء وهي تشير إلى كريم دون أن تتكلم.. خرج كريم معها.. وهما في ممر الخروج..

ما زال حمص الذي قطع الرجل أذنه يصرخ ـ لم تفعل حقنة المخدر التي صرفتها له الدكتورة سعاد شيئًا.. تابع كريم بكاء حمص.. وبعدها خرج خلف مروة..

في الخارج مستطيل لدخول وخروج عربات الإسعاف وحالات الطوارئ.. المطر أقل ولكن الهواء بارد.

مروة: إسمع يا كريم كويس علشان ترجع لمراتك وبنتك.. أنا مارُحتش الشغل من ٢٠ يوم علشان جالي عريس محترم وكنت بفكر لوحدي بعيد عن أي حد .

كريم بنظرة اندهاش: مبروك يا مروة .

مروة نظرت باندهاش أكبر من اندهاش كريم وارتفع صوتها: بس المشكله إني من سنة بحب واحد.. وكنت فاكرة إنه مجرد زميل بس كل ما أبعد عنه يوم ببقى زي المجانين وعايزة أشوفه.. حاولت كتير أنساه ومش عارفة.

لم يستوعب كريم.. لكنه ظل صامتًا.

مروة: أنا بحبك يا كريم.

ظهرت الصدمة على ملامحه.

مروة: بحبك وعارفة إني غلط وإن مش وقته وإن ماينفعش أحب واحد متجوز. بس أنا مش شايفة غيرك.

تتساقط دموعها لترسم خطًّا على وجهها: أنا بموت . عرفني أنا كنت بوهم نفسي ولا إنت بتحبني ..عرفني أنا كنت بضحك على نفسي ولا نظراتك أنا فهمتها صح.. عرفني.. إحساسك ورقة مشاعرك.. صوتك الهادي معايا في التليفون بالليل ... إيه معنى إنك تعملي عيد ميلادي لوحدك.. أغاني أنغام وعمرو دياب إللي بتبعتهالي بالليل لزمتها إيه.. أنا محتاجة إجابة.. مش على مشاعري لكن كمان على كل تصرفاتك معايا.

أخذ كريم يراقب باب الطوارئ تحسبًا لقدوم وفاء من المدخل..فغضبت مروة.

مروة: رد عليا وماتبصش عليها ـ أنا مش جاية أسرقك منها.. أنا مش حرامية.

كريم: مروة ممكن تروحي ترتاحي وبكرة نقعد في أي مكان نتكلم؟

ارتفع صوت مروة.. كان الهدوء يضرب كل أرجاء المكان.. لا يوجد أحد غير عم فتحي أبو أمنية والخال محمود يجلسان لشرب شاي وتدخين بعض السجائر.. تحرك كريم إلى الأمام راغبًا في الخروج بمروة خارج السور.. لكن مروة رفضت الخروج.

صار بكاء مروة لافتًا لأي شخص داخل ـ أو خارج من الطوارئ.. لكن عم فتحي والخال محمود كانا غير مهتمين بالنظر إليهما... توقفت الأمطار وسالت أمطار من الدموع..

كانت دموع مروة تساوي الكثير وتكلفها القليل.. مسحت دموعها: أنا خلصت كلامي.. محتاجة أسمع منك كلمتين مهما كانوا حلوين أو وحشين.. بس محتاجة أسمعهم.. ماتوهمنيش بأي حاجه يا كريم كفاية أوهام ـ أنا جاية أقطع حبال الأوهام بحقيقة.. ومن غير مقدمات.

واصلت البكاء مجددًا.. للحظات تهدأ الطبيعة ـ لتستريح قليلًا..

وقف كريم متماسكًا يتنفس هواءً نقيًّا بعد المطر.. استعدادًا للرد على مروة.

كريم: علشان خاطري كفاية عياط.. أنا بحبك (وسط كل الدموع المنهمرة ابتسمت مروة ابتسامة طفلة صغيرة) كفاية عياط بقى يا مجنونة بحبك من أول يوم شوفتك.. روحي وأنا هاروح سندس ووفاء وهاكلمك.

ينظران إلى بعضهما . يتحول الجو من يناير إلى إبريل.. تفتحت الزهور.. وتبدلت أصوات الإسعاف بصوت كامنجا..

اقتربت مروة لتمسك يد كريم وابتسمت ... لم تكن تلمح شيئًا سوى عينيه فأغمض كريم عينيه وظل ممسكًا بيديها لفترة طويلة.. شعرت مروة أن هذا الوضع غير مقبول.. سحبت صوابعها من يده بصعوبة وهي تبتسم.. فجأة وجد كريم يد وفاء على كتفه.. مع دخول صوت عربة الإسعاف.. ترك كريم يد مروة بسرعة.. فابتعدت عن كريم خطوتين.. كانت وفاء متماسكة قوية.. توقف الزمن للحظات وتجمد المشهد.. ثبت كل شيء في الصورة.. كل منهم ينظر للآخر دون أي كلام.. كل منهم يكلم نفسه.. وبعدها انسحبت مروة إذ سمعت طبول الحرب بين وفاء وكريم قد بدأت.. في هذا السكون نسمع أصوات السيارات وهي تشق المياه المتراكمة من أثر الأمطار..

نظرت وفاء إلى زوجها وقالت لنفسها: مش سندس بس إللي هاتتجبس.. وأنا كمان هاتجبس.. سندس هاتخف إن شاء الله.. بس أنا مش هاخف.. أنا إنكسرت يا كريم.. لو عايز تخرج من حياتي بدون سبب اخرج لأني ماعنديش استعداد أسمع عذرك.. أدخل جبس البنت وأنا هاستنى أبويا يروحني.. لغاية ما تقرر هاتكمل مع مين فينا.. وأنا أقرر إن كنت هاسامحك ولا لأ .

ذاب كريم خجلًا إذ شعر أنه أصبح في هذه الليلة أحدث كسرًا مضاعفًا داخل بيته.

وفاء تأخذ مستلزمات التجبيس من أسامة الذي عاد منذ قليل: أنا جوه مع سندس خليك هنا بعد إذنك

(لا فرق بين خيانة الضمير وخيانة الواقع . إلا التنفيذ)

بروفين ٢٠٠

هو في ناس مش هاتموت؟

(صمت متبادل)

إنت بالذات مش هاتموت.. أنا هعتبرك في رحلة أو أنا إللي في رحلة.. الناس إللي بتعيش جوانا مش ممكن تموت.. مع أول ذكرى كل حاجة بترجع تعيش جوايا ــ بنفس الطعم والإحساس والتفاصيل.

(تقع من يده الصورة على الأرض)

مفيش حد بيموت وذكرياته الطيبة عايشة في ناس تانية.

مش هامشي !

في وسط الازدحام.. دعاء مسحت عينيها المتورمتين إثر البكاء.. تحاول إنقاذ أمها ـ فمن الممكن أن تتقيأ دمًا مرة أخرى.. لا أحد ينظر إليها.. فالكل يبكي على ليلاه.. خصوصًا في هذا المكان.. وفي هذا الطقس السيئ.. السحب تقترب من الأرض.. الهواء بارد شديد السرعة .. هناك من يطلب ولا أحد يستجيب.. وهناك من يصرخ وسط الازدحام يختنق بلا أمل.. وفي وسط الازدحام ـ بنت اسمها دعاء ـ متوسطة الطول ـ نحيفة ـ صاحبة ملامح بريئة تجري إلى كل دكتور كي ينقذ أمها.. ولكن بدون فائدة.

دعاء: أنا قولت لحضرتك أمي تقيأت دم كذا مرة.

الدكتور طارق: يا آنسه ـ مامتك مريضة بفيروس سي والحالة متأخرة.. والترجيع ده علشان عندها دوالي مريئ.. وده محتاج حقن عن طريق منظار.. يا إما تنتظري هنا للصبح أو تروحي تعملي الحقن برا في أي مكان.. أنا قولتلك نفس الكلام ده أكترمن مرة.

في لحظات الصمت تنبح الكلاب نباحًا مزعجًا.. دعاء تقف مكتوفة الأيدي مهزومة لا تستطيع فعل أي شيء.. يبدو أن كل شيء في الطوارئ مفزع إلى حد الرعب المجسم.. أغلب الموجودين مثلك يشعرون بما تشعر.. تأكد أن في هذا المكان تصدُق المشاعر.. دعاء لن تستسلم ـ فنظرت إلى الدكتور منفجرة.

دعاء: إنت عايزني أعمل إيه وإنت بتقولي أمك هاتموت ـ عايزني أقابل الخبر ده إزاي . أعدل الطرحة وأقولك أوكي (تمسك الدكتور من ملابسه) لو صبري نفد هانفجر فيكم.

كالعادة لا يصدر من طارق أي رد فعل يتركها ويذهب.. تسأله مريم عن الدكتور وليد فيخبرها أنه لا يعرف.

تضغط الأم على يد ابنتها ـ وهي تتكلم بصعوبة

الأم: أنا مؤمنة بقضاء ربنا وبقولك إن دي النهاية.

دعاء تحتضن أمها.. تنظر إلى الازدحام.. كبحث الغريق عن طوق نجاة.. لا أحد يشعر بهما في كل الطوارئ سوى نيفين التي تمسك يد ابنها الصغير آدم ـ الوحيد الذي يقف بجانبها.

دعاء: ماتقوليش كدا أبوس إيدك .

الأم: كل ده كلام وخلاص وإنما الحقيقة كل واحد مننا بيبقى حاسس وعارف لحظة النهاية وأنا حاسة إني قربت على النهاية وعايزة أموت في بيتي على سريري.. من غير بهدلة ومقاوحة .

دعاء: مش هانمشي من هنا ـ وماتقوليش أموت دي.. هاتفرج إن شاء الله.

عم محمد: يلا يا آنسة خدي الحاجة واتحركي بعيد شوية علشان الزحمة والقرف ـ كفاية الدم إللي لسّا ماسحه من ترجيعها.

دعاء: نروح فين.. الست دي بتموت .

عم محمد: وأنا مالي ما تموت ولا تعيش هو أنا دكتور .. إطلعي برا قبل ما أنده الأمن.

الدكتور طارق: إستنى يا عم محمد هي فاهمة وهاتمشي على طول يلا يا آنسة إنتي شايفة الزحمة قد إيه.. والقعدة هنا مالهاش لازمة

دعاء: أنا مش هاطلع من هنا.. أروح فين . مالناش حد.. أروح واسمع كلامها وأشوف الموت جاي إمتى هياخدها وأقوله أتفضل أمي.. ماحدش ماسك النار غيري.. أكيد حد هايساعدني.. ماتخافيش يا ماما.

لم تستطع أن تنظر إلى أمها المريضة الجالسة على الأرض بملامح منهكة تمامًا.. وقفت فوق الكرسي وأخذت تصرخ في الجميع:

- يا جماعة أنا أسفة.. أنا أمي بترجع دم وعندها دوالي في المريئ.

ينظر إسماعيل الذي ما زال يبحث لابنته على سرير..

بينما اقترب مؤمن وخالد اللذان أدخلا الأم وأجلساها على جنب عند دخولها الطوارئ.. كما أن مؤمن هو من تبرع بالدم منذ قليل.

دعاء: أنا ماليش غيرها وهي مالهاش حد غيري.. ومش عارفة أسيبها وأروح اشتغل ..أنا عايزة أستلف وهايبقى دين في رقبتي هايتسدد.. أمي محتاجة حقن لدوالي المريئ.

ظل مؤمن صديق خالد واقفًا أمام دعاء.. وقال لنفسه: دفعني إحساس إني عايز أساعدها . شكلها في أزمة . مش زي الشحاتين إللي بيدخلوا علينا بروشتة وأشعة.. صعب أوي تشوف عنين بنت بتصرخ تستنجد بأي حد ينقذها.. وأمها إللي قاعدة على الأرض في عينيها نفس نظرة أمي الله يرحمها.. في نفس الوقت كنت عايز أضرب عم محمد والدكتور على كلامهم المستفز.. بس ماكانش في وقت.

الأمين مصطفى: إنتي بتشحتي.. إطلعي برا .

مؤمن لدعاء: تعالي إتفضلي أنا معايا واحد صاحبي دكتور جهاز هضمي هايعمل لنا الحقن وأنا هادفع وهاخدهم منك لما ربنا يفرجها عليكي.. أنا عربيتي قدام الطوارئ يلا بسرعة.

احتضنت دعاء أمها من الفرحة.. وأخذت تشكر "مؤمن".

مؤمن محدثًا نفسه: كنت شايفها أقوى من ناس كتير هنا.. وأوفى من ناس كتير سافرت وسابت أهلها ... كنت عايز أقولها أنا ماعرفكيش.. بس بحبك .

(الأم هي كل شيء في هذه الحياة..

هي التعزية في الحزن..

الرجاء في اليأس..

القوة في الضعف)

(جبران خليل جبران)

كتافلايي

• كان وقتها صوتي بيترعش وقلبي بيدق دقات مش مظبوطة ومش في مكانها.. وكل جسمي بقى سخن .... الكتب إللي كانت في حضني هي كمان سخنت.. حسيت إن عينيا منورة.. ماعرفش إزاي حصل كدا مع إن أول مرة يحصلي كدا يا ماما.

• الحب

• بتقولي إيه؟!

تضحك الأم وتأخذ ابنتها في حضنها ويستمر الحديث والضحك بين الأم والابنة.

أنا خايف !

كل ما في طبيعة الطوارئ مشحون بيأس ومرض وخوف.. وخصوصًا لو كانت نيفين في أواخر الثلاثينيات.. تنام على سرير. يقف بجانبها ابنها آدم . ولد جميل عمره اثنتا عشرة سنة.. نيفين تضع يدها على خد آدم.. الولد قلق ينظر للمكان في خوف.. صراخ هشام على أخيه كان فظيعًا على طفل . بعمر آدم.. وبعدها صراخ حسن على رحمة.. وانفعال محمد جمال في الجميع.. وبالتأكيد أن هذا الطفل من المستحيل أن ينسى الدم الذي غطى وجه حمو الذي فقد عينه.. نظر الولد لأمه.

نيفين تأخذ آدم في حضنها.. وهو ممسك وردة في يده قطفها من الخارج: إنت خايف يا آدم.. ماتخافش . دلوقتي عمك وهو راجع من الشغل هايعدي ياخدك

آدم: لأ أنا مش خايف.. بس أنا عايز أروح معاكي

نيفين.. تنظر إلى المحلول وإليه: أنا بكرة هاعمل العملية.. تعالى أقعد جنبي على السرير نام شوية لغاية ما ييجي عمك (ينام الولد قليلًا) يا رب عمك مايتأخرش أنا خايفة عليك من أي عدوى . المكان كله ملوث.. الله يرحمك يا عبد الله.. من يوم ما سيبتني والدنيا جت علينا كتير (آدم قد نام) أنا لازم أقوم وأعيش علشان لو أنا مُت إنت هاتعيش إزاي يا حبيبي.. الدكتور قالي إن الورم بقت عمليته سهلة.. إنت نايم والوردة في إيدك لو تعرف أنا بحبك قد إيه ماكنتش تنام . أقولك على سر ..أنا خايفة.

تغمض عينيها.. واضح أنها تعبانة والمسكن جعل النوم يهزمها .. نامت لتأخذ هدنة من المرض والطوارئ والتفكير.. يفتح آدم عينيه ويمسك يد أمه.. وظل صامتًا.. وأخيرًا تكلم.

آدم: عايز أقولك على حاجة إمبارح كنت بتفرج على التليفزيون ـ عمي حوَل القناة وقالي خش إتخمد.. قالي إتعشيت ؟.. مراته قالتله طفح.. وكان قبل ما ييجي حطت العشا وأنا حطتلي في طبق لوحدي قالتلي العيال بيقرفوا منك.. فمأكلتش ونمت جعان.. ولما بضحك العيال بيتريقوا على سناني.. وبقولهم خلقة ربنا برده يتريقوا عليا.. بنزل أشتري طلبات البيت.. وأول إمبارح قولتلها الراجل إداني فلوس زيادة وأنا رجعتها.. كنت فاكر إنها هاتتبسط من إني أمين.. زعقت وقالتلي إنت حمار الزيادة تجيبها.. إعملي يا ماما العملية علشان نروح ـ أنا تعبت.

ينظر إلى أمه يضع الوردة بجانبها.. وبجانبه الدكتورة سعاد تقول لرجل عجوز اسمه كمال: لازم تبطل سجاير..

وقف آدم بجوار أمه وقبَّل رأسها: لما نروَّح هاعمل كل حاجة في البيت ـ مش هاقولك تعبت ومش هاقولك عايز أنزل ألعب في الشارع.. لو فضلت عايش عند عمي.. هانزل من بيته ومش هارجع تاني.

يقطع كلام آدم صراخ عم عربي يريد أي أحد ينظر إليه: لازم تخفي ونرجع بيتنا ـ عمي بيرجع متعصب ومرة ضربني بالقلم علشان كنت بهزر مع إبنه قالي إنت مابتفهمش زي أمك.. وقعد إبنه على رجله زي ما بابا كان بيعمل معايا كده.. أنا جعان وعطشان ومابعرفش أشبع.. بحط دماغي تحت البطانية وأعيط.. بخاف حد يشوفني بعيط .. ويقول لعمي ويضربني.. بخاف ولاده يقولوا عليا عيل لسّا بيعيط.. بخاف من كل حاجة عندهم.. بس أنا مابحبش أقولك علشان ماتقلقيش عليا .

يمسك يديها: ماما أنا خايف.

بكى آدم، ونيفين تفتح عينيها بعد فترة لأنها لم تكن نائمة.. وضعت يدها على ابنها بقوة وحضنته.. في محاولة منها أن تهزم جسدها المريض .. وهي تبكي بصوت

مسموع لافت للنظر..

نظر عم كمال العجوز الطيب ولم يستطع إيقاف دموعه.. لأنه كان يتابع حديث آدم.. يظهر وسط الازدحام عم آدم وزجته.. بملابس سهرة.

العم: إيه مالك بتعيطي ليه خير ؟

زوجته: معلش إتأخرنا عليكي كنا في مشوار.

نيفين تنظر إليهما ولا تتكلم.. ما زالت تحتضن آدم بقوة.. يحضنها آدم وهو يبكي في هدوء.

العم: في حاجة .

نيفين: مافيش .

يأخذان الولد ويمشيان.. نيفين تنادي بصوت مرتفع على العم فيعود إليها.

نيفين: علشان خاطر عبد الله أخوك - الله يرحمه - خلي بالك من آدم.. دا يتيم.

العم: (يصمت)

زوجته: في عيني

شمَّت نيفين هواء الطوارئ المسموم.. نفس رائحة الهواء المسموم عندما يتسرب الغاز في إحدى الشقق المغلقة.. تتابع نظرات آدم إليها.. ازداد إحساس الخنقة من الهواء الملوث.. حتى تلاشى وسط الازدحام.. كانت تبكي بشدة لأنها تؤمن بأنها على وشك الموت.

(*ليس في العالم وسادة أنعم من صدر أمي*)

(*شكسبير*)

تراماكس .

عارف الناس إللي بتسيب ريحتهم في الهدوم ــ المكان ــ الصور والأفلام والحياة ــ وبعد كدا تاخدهم الريح بعيد.. عارف ممكن يعملوا فيك إيه لما يمشوا.. هاتبقى شبه عامود النور المقطوع عنه الكهرباء.

زي ما القرب مفيد ــ القرب خطير !

خنـاقة

في هذه الليلة لم يظهر القمر كعادته ـ وإنما رسمت السحب السوداء لوحة كئيبة في السماء.. جو مسموم قذر إلى أبعد الحدود.. كان اليأس والألم في هذه الليلة صديقين مقربين.. الازدحام والإرهاق والتعب يظهران على إسماعيل.. رجل كادح ـ ابن بلد ـ صنايعي يعيش اليوم بيومه.. نموذج لرجل الشارع الجدع طيب القلب.. يجري في كل أرجاء الطوارئ بحثًا عن أي طبيب.. ابنته الصغيرة مصابة بأعراض سخونة شديدة لا تنخفض.. وهذا السبب وراء اندفاع إسماعيل خلف كل طبيب.. وبعد محاولات أكثر من ساعة خرج إسماعيل عن طبيعته فأخذ يرفع صوته في الجميع.. وينطق ببعض الألفاظ الخارجة كدليل على اعتراضه.. وعلى حالة الإهمال الموجودة داخل أروقة الطوارئ.. كانت زمزم تريد أن تتكلم ولكن عم محمد الأكثر خبرة منعها من التعامل مع الرجل.. وطلب منها الذهاب إلى عم عربي لأنه هو الآخر على وشك الانفجار.. وذهب هو مبتسمًا ليمتص غضبه.

إسماعيل: إحنا بنحس إننا شحاتين.. بنشحت من كل واحد فيكم كلمة. معلومة ـ ابتسامة.. ماتفتكروش إنكم بتعملوا حاجة.. إحنا بندخل عيانين ونخرج عيانين أكتر .. عارف إحنا لو في مؤسسة خيرية كنتوا هاتعاملونا حلو علشان تاخدوا ثواب .

عم محمد: حتى لو الخدمة مش مية في المية.. كل الناس إللي حواليك دول كانوا هايروحوا فين؟ يبقى هنا أحسن من بلاش!

كلام عم محمد أشعل النار في إسماعيل فنظر بغضب إلى الجميع.

إسماعيل: مفيش حاجة ضيعتنا غير كلمة أحسن من بلاش.. ليه يعني؟؟ أنا بشتغل زي البغل في الساقية ومابكفيش العيال . الولية تقولي أحسن من بلاش.. مافيش يوم راحة . العلاج بتاع العيال مابيخلصش من البيت.. والغريب إن العيان بيصبَّر نفسه إنه أحسن من إللي في العناية.. وإللي في العناية بيصبر نفسه إنه أحسن من إللي مات إمبارح (انفعال إسماعيل كبير.. همس الدكتور وليد في أذن عم محمد أن ينصرف).. كله بيجري بسرعة مجنونة على أكل العيش المر.. كله بيجري من قطار الفقر وإللي هايقف مننا القطر هايفرمه .

يتدخل الدكتور وليد.. وهو من نفس طبقة هذا الرجل ويشعر بكلماته كلها.. تركه أبوه هو وأربعة أبناء آخرين.. وكانت أمه بائعة متجولة.. لكي يأكل الأبناء.. يخرج من هذه الأسرة طبيب مثل الدكتور وليد.

الدكتور وليد: مهمة الطبيب الأولى هي تخفيف الألم من عليك.. ده شغلنا وربنا يقدرنا ونعمله ... إنما اسمع كلمتين بعيد عن الطب.. إحنا زيك في نفس ظروفك مش جايين من كوكب تاني (يبتسم) أقولك على سر أنا مرتبي مابيكفيش لآخر الشهر.. وبتمشي زي ما بتمشي معاك بالظبط.. ولازم نيجي ونشتغل ونتعب ونتشتم ونسكت.. وإنت عارف مستحيل أي واحد مننا يعرف يرضي الناس.. هات بقى البنت أشوفها.

الرجل يهدأ.. يكشف وليد: هات لبنتك العلاج ده وتشرب حاجات سخنة كتير

إسماعيل ما زال محرجًا من فعل الدكتور وليد.. يتبادلان الابتسامات،(**الكلمة الطيبة تستطيع أن تفتح أبوابًا من الحديد**).

مش هاتنازل !

يجلس الضابط وبجواره ـ مازن ـ شاب غاية في الأناقة والثقة بالنفس.. ملابس من الماركات العالمية.. في يده مفاتيح عربة ألمانية.. ساعة ذهب.. حذاء إيطالي يلمع وسط وحل الطوارئ.. مجموعة من أهل الشارع.. جيران الأستاذ إبراهيم أبو حمادة.. يقفون خارج باب الغرفة.. متحفزين لضرب مازن.. ولكن يخشون الضابط.. أحدهم يكلم الضابط .. يشرحون للضابط أن هذا الشاب صدم الولد بسيارته وهو على سرعة كبيرة جدًّا.. وسط شارع مزدحم بالأهالي.. وكان لا يريد أن يتوقف فأجبرناه على الوقوف.. رجل آخر يكمل الصورة المفقودة.

رجل آخر: دا كمان البارد ماكانش عايز يجيبه هنا المستشفى.. بيقولنا مشغول.. بس أنا فتحت باب العربية وركبت حمادة وركبت جنبه وجينا على هنا .

الضابط: إحنا فتحنا محضر وإنتوا قولتوا كل الكلام ده ..مش عايز أسمعه تاني.. كله يقعد على جنب لغاية ما أبو الولد ييجي وهو بس إللي يدخل يا أمين مصطفى .

الغرفة صغيرة.. يجلس الضابط على المكتب.. يعامل مازن بشكل محترم وهو جالس على كرسي أمام المكتب.. في ثبات وثقة بالنفس.. في السقف مروحة لا تعمل.. ملطخة بنقاط سوداء من أثر الذباب.. سجادة غير واضحة اللون.. شباك مفتوح.. خلف المكتب لمبة.. وأعلى الباب صاعق للناموس..

مازن صامت ينظر إلى الساعة وتارة أخرى إلى الخارج مشمئز من المكان.. ينظر إليه الرجال بغيظ.. ما إن تتبادل النظرات حتى يصل إبراهيم أبو حمادة يلبس قميصًا أزرق سادة وبنطلونًا أسود فقد لونه وشبشب جلد قديمًا . يحمل مزيجًا من الخوف على ابنه.. والغضب من صاحب العربية.. غارقًا في مياه الأمطار.. أحد الرجال يحكي له ما حدث.. يلقي السلام داخل الغرفة لينتهي السكون المؤقت.. سأله الضابط هل أنت الأب فأجاب بنعم.

الضابط: يا أمين مصطفى فهم الراجل ده والباشا.. إحنا بنعمل إيه في المواقف دي.. أو الحل التاني بقى.. هاروح أتعشى لو في حاجة إبقى رن عليا.

نظر إليهم الضابط وخرج.. إبراهيم ينظر إلى مازن ـ تتراشق النظرات ـ توحي بأن القادم لن يمر مرور الكرام.. الأمين مصطفى يجلس مكان الضابط يشعل سيجارة ـ يأخذ نفسًا.. رفع رأسه وكأنه سيلقي خطابًا رسميًّا في أحد المحافل الرسمية وبدأ في الكلام.

أمين مصطفى: نهدى كدا ونصلي على النبي.. أنا مش مستفيد حاجة من الكلام إللي هاقوله.. أنا شغلي أعمل محضر وأبعتكوا إنتوا الإتنين على النيابة.. وهي تتصرف معاكوا.. فتعالوا نحلها هنا بدل ما تكبر مننا.. نراضي بعض

مازن في برود تام: أنا ماعنديش مانع شوف إنت أدفع كام ـ ونخلص.

إبراهيم (هذه الكلمة أخرجت ما في صدر إبراهيم): تدفع كام إيه ـ إنت فاكر نفسك خابط فرخة في الشارع وجاي تدفع تمنها !.. أنا مش هاتنازل يا باشا.

مصطفى: إهدى يا أستاذ إبراهيم.. إللي حصل حصل والواد إتعور وخلاص . والأستاذ مازن هايدفع تمن غلطته . والمبلغ إللي تقوله.. علشان بعد كدا يبقى يمشي بالراحة .

مازن يشير بالموافقة، بينما إبراهيم في حالة ثورة.. رافض التفاوض.

إبراهيم (منفعل ويتكلم في وجه مازن): إللي زيك من يوم ما اتولد وفي بُقه معلقة دهب.. وماحدش يقدر يدوسلك على طرف.. عمر حد قالك هاوديك ورا الشمس.. عمرك إشتغلت الصبح ورجعت إشتغلت بليل زي الحمار.. عمرك سمعت عن عيال بتروح مشوار بالعشرين كيلو بالعجلة زي حمادة اللي إنت خبطته.. لو حسيت ده . عمرك ما هاتتفاوض معايا في دم.. إنت راجل مهمل وهمجي.. كسول بتبص علينا من الدور العاشر بقرف.. زي الكرسي إللي إنت قاعد على طرفه علشان قرفان منه.. أنا مش هاتنازل ومش عايز فلوسك مهما كانت.. هاخد حقي منك بالقانون !

مازن(قد بدأ هو الآخر ينفعل . يقف بثبات): إوعى تكون فاكر إني خايف منك أو ممكن أتحبس في حادثة خايبة زي دية.. إنت راجل حاقد . طماع زي كل الناس إللي شبهك . أنا فاهم كويس.. النمرة البلدي الحلوة دي.. بتاعت أنا إبني مش بفلوس الدنيا.. كل ده علشان ترفع الفلوس شوية.. شوف عايز كام.. أنا مش فاضي أسمعك (أشاح بيده في الهواء)

يقوم إبراهيم بإمساك مازن من رقبته ليضربه . يدفع الأمين مصطفى إبراهيم خارج الغرفة: الناس إللي شبهي دول أنضف منك ومن أهلك يلا.. ورحمة أمي ما هاسيبك ولو هاتموتني .

مصطفى (يكلم مازن): بالراحة يا أستاذ مازن . المحضر متقفل ضدك

بالشهود.. والواد هايتجبس مش أقل من ٣ شهور غير عملية المسامير. يعني القضية متقفلة ضدك.. فبالراحة كدا ماتسخنش علشان نحل الموضوع.. بس الحلاوة بتاعتي هاتبقى كبيرة.. مش عايز انفعال. سيبني. أنا كل يوم في نفس الأحوال دي (ينادي على إبراهيم المنفعل خارج الغرفة) يا أستاذ إبراهيم أنا مقدر زعلك على إبنك.. وكمان الأستاذ مازن زعلان.. (بصوت منخفض) بيني وبينك المحضر زي الزفت الواد قطع الشارع الرئيسي بسرعة. وده غلط.. ثانيًا ماينفعش ولد في أولى إعدادي يركب عجلة عالية ويمشي بيها في الشارع العمومي.. يعني هايروح النيابة وهايطلع كدا كده.. فايروح دلوقتي وإنت تتراضي. لسا عندك مصاريف كتير أوي.. قولت إيه؟

إبراهيم (ينظر إلى مازن.. ويكلمه بقلب أب مكسور.. وقد تغير صوته.. وزاغ ببصره كي لا يبكي): يعني أنا أخبطك بعربية وأسيبك تصرخ في الشارع من الوجع ..وأقولك هاعوضك بالفلوس.. إنت ترضى أعمل كدا مع إبنك.. وأقعد بمنتهى الغرور أقولك.. عايز كام.. وتدفع وتروح مرتاح الضمير والبال.

لا يرد.. يضع وجهه في الأرض.. يحرك قدمه يمينًا ويسارًا.. وقد شعر الأمين مصطفى أنه فشل في إتمام عملية الصلح وخسر الحلاوة..

سكوت داخل الغرفة ينتهي برفع مازن رأسه ويضع يده على كتف إبراهيم .. لأنه شعر بكم الوجع الذي بداخل الرجل.. قبَل رأسه.. واعتذر.. مسح إبراهيم عينيه من دموعها وقال: الحمد لله على كل شيء.

يقفل المحضر الأمين مصطفى وهو سعيد. نجح في إتمام الصفقة .. وقَع إبراهيم على التنازل.. خرج إبراهيم واضعًا يديه فوق رأسه.. ومن خلفه مازن واقفًا مكانه. لا يريد أن يتحرك من أمام الغرفة.. أخرج من جيبه

مبلغًا كبيرًا.. وظل واقفًا بجوار إبراهيم.. تنهد بحزن.. شعر مازن أخيرًا بمشاعر إبراهيم.

مازن: انا مش هامشي من هنا غير لما تاخد المبلغ البسيط ده .

إبراهيم (بحزم): أكيد سمعت قبل كدا عن ناس مابتاخدش العوض.

مازن: هو إنت عرفت إزاي إني اتولدت في بُقي معلقة دهب .

إبراهيم: باين عليك.. إنك فرفور.. (يضحكان) بالله عليك إبقى سوق بالراحة ـ بلاش جري.. في عيال كتير في الشوارع

يبتسم مازن ابتسامة ممزوجة بالألم.. وظل واقفًا لا يريد أن ينصرف خجلًا منه.. نظر إليه إبراهيم وطلب منه أن ينصرف.. أخذ مازن رقم تليفونه للاطمئنان على حالة حمادة.. أخذ يجول ببصره داخل عالم الطوارئ ـ وشعر بأنه من عالم آخر.. أو يشاهد فيلمًا سينمائيًا..

قطع هذا التفكير العميق الأمين مصطفى قائلًا: "مبروك الصلح يا باشمهندس" فوضع يده في جيبه وأعطاه نقودًا دون أن يتكلم ـ وانصرف.

(لا تحكم بالظاهر.. قد يكون هناك قلب غني تحت معطف فقير)

(نجيب محفوظ)

كتافارست

كل نجاح جه بعد تعب.. وكل نهار بتتعب فيه بتنام ليله مرتاح.. وكل سعادة جت بشوية حزن وضغط.. وكل محصول إتزرع طلَع ثمرة بشوية عرق.. وكل مشروع نجح.. جه بناس خططوا مظبوظ

الحياة مابتديش هدايا.. مابتديش ببلاش.. الشاطر إللي يخطف من الحياة بتعبه وجهده.. ياخد إللي هو عايزه منها

الأحلام بدون تخطيط وتعب.. وهم .

عتاب !

يقطع صوت عالٍ - وسط الازدحام والأصوات المختلفة كقطعة موسيقية بدون مايسترو - صوت الدكتور وليد.. نموذج لطبيب يحترم مشاعر وإحساس الناس ..نحيف... ابتسامته مريحة للجميع..

وليد: يا زمزم علقي محلول للحاج ضروري.. بقالي ساعة قايلك.. هارجعلك تاني يا حاج .

زمزم ممرضة في أواخر العشرينيات ولكنها ثقيلة الوزن والدم.. تتحرك ببطء.. واضح عليها أعراض التعب.. ولكن لا وجود للراحة داخل الطوارئ.. تمسك التذكرة...

الرجل نحيف في بداية الستين.. اسمه عربي ـ موظف على المعاش.. مريض وحزين وهو ينظر إلى ضيوفه..

أخوه (علي) يشبه عربي في الشكل والوزن..

(طارق) صديق عمره ـ مهتم بشكله وملابسه..

(مجاهد) زميل عمل وجار أيضًا..

(عايدة) كان متزوجها لمدة ١٨ سنة..

نظرات متبادلة.

زمزم: معاك حد يا حاج يشتري كانيولا من برة؟

عربي: أيوه يا بنتي الناس إللي وراكي دول .

زمزم: ولا أقولك أنا لسا هاستنى ـ أنا عايزة أخلص ـ معايا واحدة في

جيبي.. ضم إيدك وإفتحها جامد يا حاج.. مش عارفة أجيب الوريد.. دي ليلة زرقاء من أولها .

عربي: حاضر يا بنتي . (ينظر إلى أخيه بعشم) شايف يا علي أخوك وصل لغاية فين؟ . بينتهي ومن غير ما حد يقف جنبه.. ماكنتش مستني منك حاجة أكتر من إنك تيجي تخفف وجعي بكلمة.. ده انا عملت معاك كتير ولا إنت ناسي.. سايبك تعيش في بيت العيلة لوحدك وتاخد إيجار الدكان علشان تأكل عيالك .. كان ممكن أقولك نبيع البيت وهات نصيبي .. ولا تكون جاي دلوقتي تطمن هاموت إمتى علشان تاخد الشقة كمان.. الشجرة إللي ضللت عليك وعلى عيالك ماتدعيش عليها بالقطع.

ينظر إلى مجاهد: مش بيقولوا كدا يا مجاهد.

يعود للحديث مع أخيه بينما زوجته عايدة صامتة: حتى لو مُت يا علي.. عفريتي هايفضل عايش معاك في الشقة.

يصرخ من ألم الكانيولا.. زمزم تعتذر بملامحها.. إشارة لأنها أخيرًا انتهت من تركيب الكانيولا.. دكتورة رضوى تخبر زمزم بأنها بالكافتيريا.. استغلالًا لحالة الهدوء.. يعود عم عربي يحكي لهم كيف وصل إلى هنا بدونهم ..مر وقت طويل يتألم داخل الشقة دون أن يطمئن أحد عليه.. خرج منهالًا يسب الجيران.. حتى وقع أرضًا وحمله أحدهم.. أتى به إلى هنا.. ورحل... تقف زمزم أمام عم عربي لتعليق المحلول..

استمر عم عربي في كلامه: زي ما إنتوا شايفين واحد شبه البني آدمين بالظبط.. فاكر يا طارق يا صديق عمري.. لما قولتلي تعالى نسرق جدي.. علشان مابيشوفش قدامه.. طول عمرك واطي.. قولتلك جرب أول سيجارة

هاتعجبك.. قولتلي البيرة جميلة.. أي حاجة كنت تحب تعملها تكلمني.. وتقولي دي حاجات كبار. كنت بتسخنَي.. أقولك أنا كبير.. وأول كل حاجة غلط عملناها سوا.. إنت السبب إني أحب الحشيش أكتر من بيتي وعيالي.. يخربيت أم ذكرياتك يا طارق كلها ذكريات مشبوهة زيك.. بس إنت كان عندك حق لما قولتلي الحشيش جميل.. علي أخويا الواطي ده.. الوحيد إللي كان يقولي إبعد عن طارق هايغرقك ..(يضحك وهو يمسح دموعه) أنا لسّا واخد بالي من إسبوع إني غرقت.

الدكتور وليد يقوم بقياس الضغط .. الزحمة ورائحة المكان والألفاظ الخارجة تغلف المكان.. بينما كان عم عربي ينظر إليهم وهم ينظرون إليه بلوم وعتاب: كلنا عيوب فاستحملوني زي ما أنا مستحمل قرفكم فوق دماغي وساكت.. ماحدش يبصلي أوي كده.

نظرلعايدة وابتسم في حزن: إنتي يا عايدة آخر واحدة ممكن أصدق إنها تيجي تطمن عليا.. إنتي الحاجة الوحيدة إللي ندمان عليها.. كنت حيوان مغيب عن الوعي أستاهل الضرب بالجزم إني خسرتك.. لما ركعتي علشان تبوسي رجلي وعنيكي مليانة دموع.. وإنتي بتقولي كفاية شرب زفت ..علشان نعرف نعيش ..قولتلك مش هابطل.. كنت ساعتها أستاهل الحرق مش حد يبوس رجلي !.. قولتيلي هامشي بالعيال قولتلك خلاص هابطل.. ومابطلتش . كام مرة قولتلك ماتقوليش لأهلك إني بضربك وبجوَّعك.. من اللحظة إللي مشيتي فيها لغاية دلوقتي وانتي حبك بيزيد في قلبي.. عيطت كتير على إللي عملته فيكي يا عايدة ..حرمتك من كل حاجة.. عيشتي بسببي عيشة صعبة.. أنا أشرب حشيش وانتي تجوعي أكتر.. أنا أشرب وإنتي تعطشي..

هدومك بقت قديمة عليكي ولا أنا شايف ولا حاسس.. الناس تأمِّن مستقبل عيالها وأنا عايش لمزاجي ودماغي.. والسنين تجر السنين خليتك تمدي إيدك للكلاب والأندال علشان تاكلي وأنا مسطول.

يظهر الدكتور طارق ويسأل عن الدكتورة رضوى ـ تخبره زمزم بأنها في كافتيريا الطوارئ ..يصل الدكتور وليد ليطمئن على عربي فينظر إليه مبتسمًا.. يعود طارق ويخبر وليد بأن فتاة جميلة سألت عنه.

الدكتور وليد: يا حاج إنت كانت حالتك صعبة خلي بالك من نفسك... وخد إشتري العلاج ده.. تقدر تروَح بعد ما المحلول يخلص.

يكتب الروشتة ..نظرات وليد تبحث عن شيء ضائع وسط الازدحام.. يمسك بيده جهاز قياس ضغط.

عربي :عايدة أنا كل يوم باخد خطوة للموت.. مش عايز منك أي حاجة في الدنيا غير حاجة واحدة بس.. إنتي جيتي لغاية هنا ـ إسمعيني.. مش عايزعيالي يعرفوا أنا عملت معاكي إيه.. وعايزك تسامحيني.

ينظر الدكتور خلفه وينظر إلى الحاج عربي.. يصمت.. يكتب للحظات ويعاود النظر إليه من خلف النظارة .. يتأمل مشاعر الحاج عربي الفياضة.. وصدق ما يقوله من القلب: إنت بتكلم مين يا حاج ماحدش واقف.

زمزم (من خلف الدكتور): بقاله ساعة بيحكي بس أنا تعبانة مش قادرة أرغي مع أي حالة.. علقت المحلول وسيبته يعيش وهمه.

يتبخر الدكتور والممرضة في الازدحام والرائحة المعروفة.. بينما يصمت الحاج عربي .. دقات قلبه تتزايد.. ينظر إلى كل تفاصيل المكان.. رافض كل شيء حوله.. ويعود الحاج عربي إلى استكمال حديثه بصوت مرتفع أكثر..

شعر الدكتور وليد برغبة كبيرة في البكاء.. لكنه رحل كي يطمئن على الحاج كمال.

عربي: إنتي لازم تسامحيني.. كنت بحبك وغلطت.. وهاتسامحيني.. ولادي لازم كمان يسامحوني لو ينفع.. مش علشان خاطر أنا حد يستاهل الرحمة.. بس يسامحوني علشان خاطر ربنا.. قوليلي يا عايدة أنا سامحتك ... قولي.. مش سامع حاجة ـ قولي.

يصمت فجأة.. وينفجر في البكاء.

(لا يعرف معنى الحياة إلا من فقدها أو أوشك على فقدانها)

(ديستوفسكي)

نوفالدول ١٠٠٠

يا بخت الناس إللي بتلاقي ناس بتحبها بجد.. وتقولك من قلبها وحشتني.. الفسحة من غيرك مالهاش طعم.. البيت من غيرك مهجور.. وقتها بس بتحس إن الدنيا جميلة وتستاهل تتعاش .

جيت ليه !

خارج مبنى الطوارئ ورائحة الهواء الطبيعي بعد المطر.. ويهدأ الليل لينام ليلته في هذا المكان المغلف بالإزعاج والكآبة.. لم يظهر القمر.. فقد كان الظلام يفرض كلمته.. خطوات قليلة تفصلنا عن كافتيريا الطوارئ.. برغم كم الإزعاج والازدحام داخل الطوارئ.. إلا أن الكافتيريا أكثر هدوءًا للحظات.. تجلس في جانب منفرد الدكتورة رضوى ـ تشعر بالبرد.. تنظر للسماء.. تستمع لصوت ضعيف للمطربة أنغام.. يظهر على بعد خطوات الدكتور طارق وهو خطيب رضوى السابق.. آخر لقاء جمعهما من عام.. رحل طارق عن رضوى بدون أي سبب.. وترك لها جرحًا عميقًا.. وقف أمام المنضدة وتظاهر بأنها صدفة جميلة.. مصحوبة بابتسامة خجل.

طارق: ممكن أقعد ؟

تشير إليه دون أن تتكلم أن يجلس.

طارق (في محاولة لإخفاء كذبه): أنا ماكنتش أعرف إنك معانا هنا في الشيفت.. مالك؟

رضوى (تتنهد.. تمسك الكوب بيديها الاثنتين): مافيش!

طارق: طالما قولتي مافيش يبقى فيه ـ أنا حافظك .

رضوى (بعدم اهتمام وهي تنظر في تليفونها): صدَّعت من زعيق الناس وكتر الطلبات.. قولت أشرب حاجة سخنة.

طارق: إنتي متضايقة من وجودي هنا دلوقتي

تنظر إليه ويتبادلان النظرات ـ يبتسم كل منهما ابتسامة مصطنعة ـ لأن

قلب رضوى لا يبتسم.. تنظر إلى السماء في حزن ووجع.. وكأن قسوة الحياة كلها تجمعت في ملامحها.

رضوى: إنت عايز إيه يا طارق ؟.. جيت معايا الشيفت ليه ؟.. بتتابع تحركاتي زي العيل الصغير ليه؟

طارق ينكمش وجهه.. تتحرك عيناه في كل اتجاهات الكافتيريا.. هربًا من السؤال.

طارق: عادي إحنا صحاب من أولى جامعة وكنا مخطوبين ـ فأنا قولت إن مايصحش نشوف بعض ومانسلمش حتى.. (يستجمع قوته) ولو حابة نتعاتب ياريت !

رضوى تعدل اتجاه الكرسي.. تترك الموبايل من يدها.. وتنظر إليه في تعجب.

رضوى: بلاش نتكلم يا طارق.. أنا مش عايزة أتكلم .

طارق (يسند ظهره.. ينظر إليها في ثقة): طول عمرك بترفضي المواجهات .

رضوى في اندهاش يقطع كل سكون الطوارئ .. بعنف.. كوحش يفاجئ الفريسة بالهجوم.

رضوى: فكيت الخطوبة ليه ؟.. أناعملتلك إيه ؟.. ضحيت علشانك بكل حاجة.. قاطعت أهلي علشانك وإخترتك.. عمري ما عرَّفت حد مشاكلي معاك.. قولتلك هانبني حياتنا خطوة خطوة.. ماتقولش سيبتك علشان الظروف.. أنا ماستاهلش منك كل الكدب ده.. أنا عارفة إنت مشيت ليه أقولك!! (تشرب ماءً وهو يضع يديه خلف رأسه ويسمعها) إنت مشيت

علشان الحب والكلام الجميل إللي كان بيتقال هنا في الكافتيريا ..وفي نفس المكان ده.. هايتحول لحقيقة وإنت قدام المسئولية ضعيف وتافه وهايف.. هربت لمجرد إنك غير مسئول .

أخذ جسدها كله يرتجف من شدة الانفعال.. فيضان دموع انفجر دون إرادة رضوى.. تصمت للحظات للسيطرة على أعصابها ..

أخرج لها طارق منديلًا من جيبه لكنها رفضت أخذه.. وتابعت الحديث: أنا مش محتاجة أسمع أعذارك التافهة ومبرراتك إللي زي طباعك.. كنت تحت إيدك بحلم أحلامك وكأني عبدتك مش حبيبتك.. للأسف إنت اتعاملت معايا زي الحاجات إللي بتشتريها وتزهق منها بسرعة .

تراجع إلى الخلف.. احمَرَّ وجهه.. أخذ العرق يغمر وجهه على الرغم من أن الوقت في أقصى درجات البرودة..

مسحت رضوى دموعها وواصلت الحديث: إنت جاي دلوقتي علشان مافيش حاجة تعملها وزهقان.. جربت كل حاجة ولسة زهقان وصحابك إتجوزوا وإنت هاتعمل إيه..(أرجع أقولها بحبك وعمري مانسيتك.. وأنا عارف إني مش هاهون عليكي).. طارق سيبني في حالي أنا ومشاعري وضربات قلبي.. بعيد عن حواديتك.

تكلم طارق بصوت منخفض قائلًا: من حقك تقولي أكتر من كدا كمان.. وأنا كمان من حقي أتكلم أقول التفاصيل جايز أكون مظلوم.. يمكن يكون القاتل إللي قدامك ماقتلش.. مابنكرش إني كنت خايف من المسئولية.. بس دلوقتي اللي قدامك حد تاني . أستاهل فرصة تانية.

رضوى: مش من حقك تطلب فرصة تانية.. اللي يحرق مشاعر الناس مش من حقه ياخد فرصة تانية.

كان صوت رضوى حادًّا جدًّا وكان طارق مستسلمًا للمواجهة القوية... متقبلًا كل ضربات رضوى.. وهو مبتسم حتى لا يُشعر رضوى أنها انتصرت عليه.

طارق: كل إللي حصل بيني وبينك ده مفيد ـ المصايب بتقويني وتخليني أتمسك بيكي أكتر ـ أنا عارف إنك بتحبيني حتى لو فيا بلاوي الدنيا.. زي ما أنا بحبك وماقدرش أعيش من غيرك .

رضوى: كان زمان يا دكتور طارق.. أنا داخلة أشتغل.. بعد إذنك يا دكتور

طارق: طارق مش دكتور.. رضوى كل كلامك صح بس أنا اتغيرت.. مش قادر أنساكي

رضوى: كنت فين من سنة.. تعرف إزاي وانت عاملي بلوك على صفحتك.. من أيام الكلية وانت بتهرب من أي مسئولية (تحول توتر رضوى إلى ثقة بالنفس.. بعد أن قالت كل ما كان بداخلها) إنت كداب يا طارق.. نسيتني.. بدليل إنك سيبتني بدون سبب .

يجلسان أمام بعضهما ولكن ينقطع الكلام ويسود هدوء تام ..جمعت رضوى كل ما لها على الطاولة.. تظهر رضوى قوية ولكن داخلها ضعيفة ـ هشة ـ أضعف مما يتخيل طارق.. الذي ينظر إليها مبتسمًا ابتسامة لطيفة وهو يقول لنفسه بثقة: أنا واثق كل الثقة إن كل ده من ورا قلبك ..إنتي بتحبيني وبتموتي فيا.. وكل المستشفى عارفين كده.. الشوية دول علشان

كرامتك (يشرب قهوة) ماشي هاستحملهم.. هاتموتي وتقوليلي بحبك ووحشتني.. عينيكي بتفضحك .

تنظر إليه وهي في غاية الحيرة . لأن قلبها أصدر قرارًا بالعودة .. وعقلها أصدر قرارًا آخر بألا تعود .. تقول لنفسها بكل قوة وثقة في النفس: إنت عارف.. إنت عامل زي المسلسل البايخ إللي بتسيبه وترجعله بعد عشر حلقات تلاقي مافيهوش جديد ..إنت كده.. لما كنت معاك وماسكة إيدك كنت شايفني تافهة وهايفة.. ودلوقتي العجيب.. شايفني عظيمة ..إنت كل إللي بتعمله ده علشان خايف تخسرني.. ماتخافش.. إنت خسرتني.. أنا لا يمكن أغلط في حق نفسي وأرجعلك.. حتى لو بحبك.

طارق في محاولة لإعادة الروح إلى المكان.. ارتفع صوت أنغام قليلًا.

طارق: نفسي أعرف ضحكتك راحت فين ؟

تفتح الشنطة وتضع عشرة جنيهات ثمنًا للمشروب.

رضوة: ضحكتي ماتت.

تنظر إليه وتنصرف لتدخل الطوارئ.

اصطبغ وجه طارق بالخجل.. من أثر الصدمة.. إذ شعر بأن كل شيء أصبح في غاية السوء وقد شعر بأن كرامته تعرضت إلى صدمة.. تابع خطوات رضوى حتى تلاشت في الظلام.. ووقف أمام الكافتيريا شاعرًا أنه طُعن بسكين.. ولكنه ظل مبتسمًا غير مصدق ما فعلته رضوى..

كان الليل في الكافتيريا أرخى سدوله على المكان.. المطر يزداد فجأة دون سبب..

كل شيء صامت في المكان عدا صوت أنغام التي كانت تقول:

"ولا دبلت ولا قبلت تعيش عالرف من بعده..
صحيح وقعت ..لكن وقفت.. وقلبها خف من مرضه..
سأل عنها وكان فاكر هايلقاها بتتوجع..
وصل له الرد والظاهر ماكنش الرد متوقع".

ظل واقفًا يسمع كلمات الأغنية.. وبعد قليل قرر الانصراف.

(إن يخدعني مرة فخزيًا له..

وإن خدعني مرتين فخزيًا لي)

(حكمة إنجليزية)

بلاي بروفينيد

ضرب الستات للرجالة شيء طبيعي جدًّا.. مش شرط يكون الضرب بالإيد.. فيه أنواع ضرب تانية كتير.. وبتوجع.. أكتر من ضرب الإيد وتسيب في روحك جروح فبعض الجراح لا تلتئم !!!

كسر مضاعف!

فريد ـ رجل مكافح ـ يعمل نهارًا في الوحدة المحلية.. وفي المساء يقود دراجة نارية لتوصيل الطلبات بأحد مطاعم الأكل الجاهز.. صدمته سيارة.. ولم يستطع التماسك ـ الأرض غارقة في وحل المطر.. توقف صاحب السيارة.. وأجلس فريد على الرصيف بصعوبة.. أبلغوا الإسعاف، وعندما تأخر وصول سيارة الإسعاف حمله الرجل في سيارته.. وطلب منه فريد أن يكلم أخاه فراج ليخبره بأنه في طريقه إلى مستشفى الطوارئ .....

فراج ـ طويل القامة.. مفتول العضلات ـ يعمل مدربًا في أحد المراكز الرياضية ـ لديه سيارة أجرة حديثة.. أسرع إلى بيت أخيه ليحضر زوجته ـ وهي بارعة الجمال.. هذا ما يمكن أن يقال في وصفها..

طرق الباب فقالت: "من بالخارج"..

فأخبرها أنه فراج.

قالت: إن أخاك بالعمل وأنا بمفردي..

فأخبرها: أن فريد صدمته سيارة..

فلما سمعت ما قاله فتحت الباب.. ظهر الخوف من الخبر في عينيها.. وقالت له: انتظر دقائق لتغيير ملابسي..

دخل فراج.. نظر في الغرفة التي أمامه فوجد الولد والبنت نائمين من برد الشتاء..

ذهب إلى باب الشقة وأحكم غلقه.. وضع المفاتيح في جيبه.. وظل واقفًا يفكر لبضع ثوانٍ ثم اندفع إلى غرفة النوم دون عقل.. فوجدها لم

تنته من تغيير ملابسها.. نظرت إليه في خوف رهيب.. تهجَّم عليها لكي يغتصبها.. صرخت فصفعها على وجهها.. ظلت تضربه ولكن دون جدوى.

ماذا تفعل عصفورة بريئة في مواجهة حيوان مفترس ـ دون عقل.. مع استمرار لمحاولة قطع كل ملابسها الداخلية.. واغتصب زوجة أخيه دون رحمة.. وسط دموعها المنهمرة على خديها ـ ولم يفكر في ألم أخيه.. أرسل إليه ألمًا أشد فتكًا من سم الثعابين ..

ما إن انتهى.. قال لها: يجب أن نذهب إلى الطوارئ؛ فريد هناك.. وضع مفتاح الشقة في الباب وظل ينتظرها.. دون أن يشعر بأي تأنيب للضمير.. وقفت الزوجة تنظر إليه دون أن تبكي.. جمعت كل ملابسها الممزقة إثر اعتداء فراج عليها في حقيبة يدها.. سارت خلف فراج، كانت الأمطار العنيفة تفرض الصمت على الشوارع.. لم تجلس بجواره وجلست بالكرسي الخلفي.. أثناء طريق الذهاب للطوارئ لم يتكلم كلاهما مع الآخر.. ظل الشباك جهة الزوجة مفتوحًا ـ لا تشعر بالبرد ولا بمياه الأمطار.. ولا أيضًا بدموعها.. دار بخيالها كل ما فعله فراج بها .. عندما توقفت سيارة فراج أمام الطوارئ اندفعت الزوجة إلى الداخل بحثًا عن فريد زوجها.. ولم يعترض طريقها أحد من أفراد الأمن.. فقد كانت تبكي بشكل هستيري.. وأخيرًا وجدت زوجها وارتمت في حضنه، وراحت في نوبة بكاء بصوت مرتفع جدًّا.. وضع يده على شعرها وأخبرها بأنه في حالة طيبة ـ ولا داعي لكل هذا البكاء.. نظرت في عين زوجها وبكت بقوة وارتمت مجددًا بين ذراعيه.. أخبرها أنه كسر بسيط في القدم.. وبعض الكدمات.. وأن الأمر لا يحتاج كل هذا البكاء.. كانت زوجته لا تسمع ما يقوله عن تشخيصه للحالة.

عاد الازدحام إلى أروقة الطوارئ.. ارتفع صوت الدكتور طارق منفجرًا في الجميع.. أخرج شحنة الغضب التي كانت بداخله.. وزاغ بصره بالبحث عن رضوى مرة أخرى.. حتى الآن لا يصدق ما فعلته رضوى في الكافتيريا.. طارق في حالة نفسية سيئة.. ودون سابق إنذار اشتد الازدحام.. وعاد الكر والفر وتراشق الألفاظ ..

ظل فراج واقفًا.. ثابتًا في مكانه.. لم يذهب لفريد الذي كان مشغولًا بزوجته التي ما زالت تبكي.. لم يكن مشغولًا بأخيه وما أصابه.. لا شيء يدور في رأس فراج سوى شيء واحد.. ماذا لو قالت لأخي.. وما هو رد فعله.. لم يكن يشعر بأي تأنيب لضميره ـ الذي ألقى به للقطط والكلاب الضالة ـ في وسط الطريق فأكلوه.. ظل فراج يتابع نظرات الزوجة مرعوبًا من أن تتكلم.

منع الأمن دخول أي أحد ـ وطالب الأمين مصطفى بدخول شخص واحد فقط مع كل حالة.. حتى زاد العدد أمام الباب الحديدي ـ وقام أحدهم بضرب مصطفى.. وبعدها تم القبض على من ضربه ...

نظر فريد الرجل الطيب المتألم من كسر في قدمه.. إلى حزن زوجته ـ وتأثر أخيه فراج .. شعر بجزء من الراحة لحب زوجته له وتأثر أخيه ونظرات الحزن والقلق الواضحة في عينيه.. شعر بالفرحة.. وهو لا يعرف ما دار في أروقة بيته .

نظرت الزوجة إلى زوجها وفكرت: أتقول له ما حدث فيقوم ويقتله؟ أم تصمت وتترك حقها الذي اغتصبه أقرب شخص في الحياة إلى فريد؟

ظلت آلاف الأسئلة تدور في رأسها.. أتفتح باب النار والانتقام؟.. أم تصمت وتترك حقها فيستنتج فراج أنها امرأة سهلة فيكرر التجربة؟

نظرت إلى فراج الذي دنس فراش أخيه.. وبصقت في وجهه أثناء تجبيس قدم فريد في غرفة العظام.

وليد يتنقل بين الحالات وهو مبتسم.. دون أن يعرف أحد ما هو سبب الابتسام.. ظهرت على الدكتورة سعاد ملامح الإجهاد الشديد.. ومع ذلك لم تتوان عن خدمة أي شخص.. بينما لم تظهر الدكتورة رضوى وسط الازدحام ...

ظلت الزوجة في دوامة من الأفكار.. حتى انتهى عم محمد من تجبيس قدم فريد.. وطلب الحلاوة ! .. أمسك فراج الكرسي المتحرك وأخذ طريقه في الانصراف .. وقفت الزوجة من خلفهم وفتحت حقيبة يدها ونظرت إلى ملابسها الداخلية التي مزقها فراج وهو يغتصبها.. نادت على فريد... فالتفت فريد وفراج إليها.

الزوجة: فريد أنا عايزة أقولك على حاجة مهمة .

تغير لون وجه فراج !.. وظهرت على فريد ملامح الاستغراب !.. وهنا ارتفعت أصوات الازدحام بالطوارئ . ولم يسمع أحد ما قالت الزوجة لفريد..

إنت خسرتنا !

تمر لحظات ثقيلة التحمل ـ قاسية.. لم يكن يعلم الأب والأم أنهما سيكونان في هذا الموقف المؤلم.. إذ ظنًا أن هذه النوعيات من القصص تحدث في الأفلام.. لم يعلما أنهما سيكونان أبطال الحكاية في ليلة موحشة باردة.. في هذه اللحظات يتقدم الأب ـ مدرس محترم مكافح ـ بخطوات ثقيلة جدًا.. يقترب من عم محمد وبصوت خافت ضعيف جدًّا يسأل عن ابنه.. تعاطى جرعة مخدر زائدة.. نقل على إثرها إلى الطوارئ وهو الآن أفضل نسبيًّا.. إذ عاد إلى الحياة مرة أخرى.. يخبره عم محمد بصوت مرتفع .. أن ابنه في آخر عنبر.. ما إن يقف الأب والأم أمام سرير الابن الذي يضع وجهه في الأرض.. يصمت الأب للحظات وبعدها ينفجر.

الأب: يا ريتك مُت.. اوعى تكون فاكر إني لما لقيتك عايش فرحت ..كنا هانقول المرحوم مات علشان أخد جرعة زيادة وغار في ستين داهية (الأم تخشى ارتفاع الصوت.. إذ ينظر كل من بالعنبر تجاههم) خايفة من إيه؟ من الفضايح ـ مين مايعرفش إننا بنربي في بيتنا مدمن.. كسرتنا حرام عليك.. يا إبني ليه كدا (يحبس الدموع في عينيه دون أن تسقط دمعة واحدة.. يكمل منفعلًا) ولسه هاترمي العيب علينا إننا جينا عليك.. وإننا ماكناش فاضيين وبندي دروس علشان تعيش إنتا وإخواتك (لم تستطع الأم التحمل أكثر من هذا ـ فبكت) بتعيطي ليه؟ ولا يستاهل ـ ده رمة ـ زبالة.. إنت دمرت نفسك من أول السجاير لغاية الحقن.. مرة تقول الظروف.. ومرة صحابي.. ومرة إحنا.. إنت ضحية نفسك وإهمالك.. إنت ضحكت على نفسك.. دمرت

حياتك ودمرتنا معاك.. .. ناقص تبيع حتة من جسمك علشان تشرب بيها.. عمري إتفتفت حتة حتة تحت رجلك ولاعمرك حسيت (ينظر إلى الأم) إنتي ودلعك الزيادة السبب.. إنتي إللي خبيتي عني كل كوارثه لغاية ما صحيت على مصيبة إنه مدمن . وأنا نايم على وداني (يقترب الأب ليصبح أمام ابنه فيسند الابن ظهره ليصبح جالسًا) لكن توصل النهارده إنك تضرب أمك إللي حرمت نفسها من كل حاجة في الحياة علشانك.. تبقى واطي وماتربتش (يصفعه على وجهه فيلتفت الجميع مندهشًا ما عدا عم محمد.. ابتسم.. وضع الابن يده على وجهه..) أنا وأمك ماشيين واوعى تفكر إنك تعدي من جنب البيت.. أنا اعتبرتك ميت.. مافيش ميت بيروح البيت يا قذر.. إنت خسرتنا زي ما احنا خسرناك .

أصبح صوت الأب يضرب كل جدران الطوارئ.. كأنه صوت له صدى.. ما زالت الدموع في عيني الأب.. دون أن تتساقط.

ينصرف الأب والأم.. وبعد عدة خطوات.. يمسك شخص يد الأب من الخلف وسط الازدحام.. يلتفت الأب فيجد ابنه يبكي.. أحضره عم محمد.. وينظر إليه نظرة بألف كلمة وألف تعبير.. فيقع أرضًا يقبل قدم أبيه.. فتنزل الأم مع ابنها أرضًا.. وهنا تسقط دموع الأب.. يمسك ابنه ويحضنه.. فيقبل يده.. عم محمد ترك الابن مع الأب وانصرف.

الأب: هاتتعالج من بعد بكرة (يشير بالموافقة) في عريس جاي بكرة لأختك.. استنى هنا هاشوف جارنا عمك حسن.. علشان رحمة مراتة لسا تعبانة .

تامول ٢٠٠

أول حاجة بتتعمل غلط بتبقى تحت كلمة أجرب مرة.. بتبقى صعبة جدًا وحلوة جدًّا.. والمرة تبقى مليون مرة.. وماتعرفش تخرج من الدوامة دي !!!

تعبتكم معايا !

عم كمال رجل مسن . حزين . ينتظر الموت في أقرب وقت.. مصاب بضيق في التنفس وأزمات صدرية بسبب التدخين.. يراعي الرجل المسن الجيران الطيبين.. أبو ياسين مبيض محارة وزوجته أم ياسين.. يبحثان عن الرجل المسن.. عم محمد في جانب من العنبر.. يقول لرجل.. مستلزمات الجبس موجودة هنا.. أفضل من الخروج في هذا الجو.. ولكن كل شيء بالمقابل.

أبو ياسين: إيه يا عجوز خوفتني عليك

عم كمال يرفع جهاز التنفس الصناعي من أنفه.. ينظر إلى "أبو ياسين" نظرة كلها ألم وحزن.

عم كمال: روحت لحد من ولادي قولتلهم أبوكم بيموت زي ما قولتلك؟

أبو ياسين.. يريد تغيير الموضوع . بالاطمئنان على المسن.. ثم نظر أبو ياسين إلى المحلول فوجده أوشك على الانتهاء.. وأخبر عم كمال أن السيارة بالخارج في انتظاره.. ثم عاد عم كمال وسأله: روحت لولادي ؟

أبو ياسين (بسهولة تعرف أنه يكذب): أنا روحت مالقيتهُمش.. بس سايبلهم خبر ماتقلقش (يحاول تغيير الموضوع بالضحك) كل إللي إنت بتعمله ده يا عجوز علشان أنا منعت عنك السجاير.

عم كمال: إنت إبني إللي ماخلفتوش يا أبو ياسين.. أنا عمري ما زعلت أبدًا إني بقيت عجوز ومش قادر أخدم نفسي.. أنا إللي مزعلني إن ولادي

باعوني ..هاييجوا لما أموت . يعملولي أحسن جنازة ونعي في الجورنال.. مش حبًّا فيًّا . ده علشان شكلهم قدام الناس .

أم ياسين: بعد الشر عليك يا عم كمال .

عم كمال: الموت مش شر يا بنتي.. أنا كل يوم بقعد أنتظره . تعرفي إني كل يوم بحلم بالموت وأصحى ألاقي نفسي لسّا عايش.. أزعل وأقول ياريته كان حقيقي.

أبو ياسين: إحنا أهو.. ولادك.. ماقصرناش معاك.. إنت ماتعرفش إحنا بنحبك قد إيه .

عم كمال: تعبتكم معايا ..وإنتوا مالكمش ذنب . كل حاجة في حياتي بتتدمر . ولادي ماحدش فيهم بيسأل . البيت بقى خرابة . الصور إختفت من كتر التراب إللي عليها.. الفيران عاملين تحت البلاط شوارع .. بالليل بحط إيديًّا على وداني علشان ماسمعش أصوات تكسير البيت وهو بينهار .

أبو ياسين: إللي إنت عايزه هاعملهولك . ماتزعلش نفسك يا عم كمال .

عم كمال: ربنا يديك الصحة يا إبني . وإنت معاك الصحة معاك كل حاجة .

أم ياسين: إحنا ولادك إللي مانقدرش نستغنى عنك.

انتهى المحلول.. وجاءت زمزم عابسة الوجه لإيقافه.. واستعد أبوياسين للخروج.. رغم عنف الأمطار وشدة البرودة . إلا أن أبو ياسين لا يشعر بالبرد.. خلع الجاكيت وسند عم كمال وألبسه له.. فأمسك المسن يد الرجل وقبلها.. حضن أبو ياسين عم كمال وقبله على جبهته.. أم ياسين في الجانب الآخر تمسح دموعها.. لم يلتفت أحد لهم سوى أحمد ونورا.. أقارب أمنية

كانا يبحثان عن خالهم محمود وعم فتحي.. نظر إليه المسن.. وشعر بنظرات العطف والشفقة من أبوياسين وأم ياسين.. فبكى عم كمال على حاله.. وجلس بجواره الرجل وزوجته.

أبو ياسين: طب قولَي إنت عايز إيه ؟

عم كمال (والدموع في عينيه.. صمت قليلًا): أنا عايز علبة سجاير !

ينظر كل منهما للآخر ويضحكان.

(لولا القلوب الطيبة لكانت الحياة قاسية.. لا تطاق)

(هيلين كيلر)

بنادول

ليه طول الوقت بنسأل نفسنا الناس إتغيرت فجأة
ليه مرة واحدة.. مافكرناش نسأل نفسنا ـ يمكن
نكون إحنا إللي اتغيرنا واحنا السبب !
عيد حساباتك ... وارد تكون غلطان !

بحبك.. مبضحكش

وليد: مريم أنا عايز أتكلم ماتقاطعنيش . سيبيني أكمل كلامي . أنا هاقوله بالعافية.. ماقدرش أبدًا أنكر إنك مختلفة في التفكير عني.. طايشة ومجنونة . كل حاجة فيكي بريئة.. عينيكي.. نظراتك.. همساتك.. حتى هدومك عليكي بتبقى بريئة.. رقتك وهدوئك.. الدنيا كلها بتتحرك على خطوتك.. وكإنك ماسكة عصاية المايستروا للدنيا تتحرك بمزاجك.. برغم جنانك باحترم ذكائك.. عمرك ما اشتكيتي من الحياة.. أو من أي حاجة نقصاكي.. داخلة دايمًا في سباق مع أحلامك.

احمرَّ وجهه وأخذ يحرك كتفيه وقدميه بطريقة عفوية.. لا يستطيع التحكم في جسمه.. انكمش داخل قميصه الواسع.. وبنطلونه القصير.. وجزمته السوداء.

قال في حماس: أنا بحبك من زمان.

وليد يظهر لمريم نصف ابتسامة.. وينتظر إجابتها.. مريم بعد لحظات من الصمت.. تنفجر في الضحك . تسخر من وليد .. تتماسك ثم تواصل الضحك مرة أخرى بطريقة مستفزة.

مريم: إنت آخر واحد في الدنيا ممكن أتخيل إنه يكون بيحبني (تضحك بصوت مرتفع) موتَني من الضحك . مش قادرة أتخيل . الله يخرب بيتك (تصمت للحظات وتسأله في جدية!) من إمتى وإنت بتحبني (وليد يريد الانصراف . ازرقَّ وجهه) وأنا عمَالة أقول هو بيبص عليا كدا ليه؟ أتاريك بتحبني يا وليد.

تعود للضحك بصوت مرتفع.. كلما نظرت إلى وليد تضحك.. وليد ينظر حوله يخشى نظرات الموجودين: والطقم الفلاحي إللي ماعندكش غيره . غسلته . علشان تقولي بحبك (تضحك) طيب إنت مستني مني إيه دلوقتي؟ أمسك إيدك زي الأفلام العربي وأقولك بحبك؟.. ولا أضحك وأحط وشي في الأرض واجري وإنت تفهم بقى؟

تضحك.. تنظر إلى . كيسة بيضاء . بها ملازم الدرس: ولا إنت راكن الحصان الخشب برا ومستنيني أركب معاك؟

انصرف وليد في خطوات مسرعة . وترك الكيسة البيضاء على الأرض . ثم بدأ في الجري حتى يصل إلى مكان ليبكي فيه بمفرده.. كان يخشى أن يبكي أمامها فتضحك مرة أخرى.. شعر أنها ذبحت إحساسه بمنتهى الاستهتار.. لم يذهب وليد إلى مراجعات درس العربي في الصف الثالث الثانوي مرة أخرى.. كان لا يريد أن يتذكر ضحكاتها المؤلمة.. وبعدها قرر وليد أن يعود للتركيز والامتحانات.. دخل وليد كلية الطب.. وبعد مرور ثماني سنوات أصبح وليد طبيب امتياز.. في مستشفى الطوارئ.. أصبح الآن الدكتور وليد الذي قابل منذ ساعات أباه في مفاجأة كانت قاسية على كليهما.. وسط كل الازدحام شعر بيد رقيقة على كتفه.. التفت لينظر. ففوجئ بمريم التي لم يرها منذ ثماني سنوات.. تغيرت . أصبحت مختلفة.. لحظات من الصمت قبل أن يمد يده للسلام عليها.. مريم تحمل في عينيها نظرات إعجاب واعتذار.

مريم: إزيك يا وليد عاش من شافك.. إيه الصدف الحلوة دي؟

وليد (صامتًا ينظر إليها في تعجب . ليقول لنفسه: فين الرقة والبراءة

إللي كانت في عنيكي يا مريم.. صوتك زي ما هو.. جنانك مش هايتغير. أنا يمكن أكون بحب جنانك علشان مش هاعرف أكون زيك.. كنتي بتحركي الدنيا على مزاجك . كنت مش أكتر من آلة موسيقية صغيرة في أوركسترا حياتك . ولما ضحكتي عليا كنت بموت .

مريم: روحت فين يا دكتور .

وليد: لا مافيش.. معاكي.. أقدر أساعدك؟ إنتي جاية مع حد من قرايبك؟

مريم: لأ . ده طنط إللي ساكنة قدامنا عندها مغص كلوي . فجيت أنا وماما معاها تاخد حقنة.. إنت عامل إيه . كويس ؟

وليد: الحمد لله.. على فكرة أنا شوفت جروب أصحاب زمان إللي إنتي عاملاه . وعرفت إنك كلمتي عبد الرحيم صاحبي في التليفون . قولتيله . ضيف وليد معانا..

مريم بخجل تنظر في كل اتجاه في المكان تحاول تغيير الموضوع.

مريم: لسّا طيب زي ما إنت يا وليد.. إنت يمكن تكون أطيب حد قابلته في حياتي.. مبسوطة إني شوفتك.. صدفة سعيدة بجد.. خلينا نتقابل ونتكلم بعد إذنك يا وليد.

تقدم له ابتسامة على سبيل الرشوة . ليقع أول حاجز عن رجل كان يعشق فتاة.

وليد لم يقبل الرشوة . ظل متماسكًا: ليه نتقابل ونتكلم.. ماظنش إني هاعمل كده.. زمان كنت أهبل وطيب بشوف أي حاجة بتلمع دهب.. طلع في كمان بلاستك بيلمع.

شعرت مريم أنه أحرجها ـ تحاول أن تتغلب على الإحراج بالمواجهة.. هي تبحث عنه من أول الليل وجاءت لتراه.. لم تكن مريم ووليد وحدهما .. نظرت إليهما الدكتورة سعاد ـ ولكنها كانت مشغولة بحالة رحمة زوجة حسن وبعدها انصرفت .. وظلت زمزم الممرضة جالسة ـ تسمع كل شيء.. ولم تنصرف.

مريم: وليد خلينا نتكلم بصراحة.. إنت ليك عندي إعتذار من تمن سنين

وليد: قصدك على اليوم إللي فضلتي تضحكي فيه.. وأنا فضلت أعيط واجري في الشارع زي العيل إللي تايه من أهله.. يوم ما قولتيلي إني بحب الأفلام العربي وإنك هاتتكسفي وهاتجري وأنا أفهم.. يوم ما ضحكتي بصوت عالي أوي وقولتيلي أركب وراك الحصان الخشب.. ماتعتذريش أبدًا على اليوم ده.. لولا اليوم ده ماكنتش هابقى واقف هنا قدامك.. أنا إللي مديونلك بالشكر.

تنظر مريم إلى وليد المبتسم.. لا تسطيع أن تتكلم ـ بعد قليل قرر وليد الانصراف دون استئذان وهو مبتسم.. ظلت هي واقفة ـ فتحركت نحوها زمزم وهي تضحك ضحكات مستفزة دون أي سبب.. لم تنجح مريم في اصطياد وليد.. فقررت الرحيل من وجه زمزم ـ المستفزة.

(انتقم بنجاحك.. اقتل بصمتك.. عاقب بغيابك.. انتصر بابتسامتك)

(تشي جيفارا)

أولفين

كل حاجة مفيدة جواها حاجة صغيرة مضرة..

الدوا جواه نسبة سم..

الأكل جواه نسبة مواد حافظة..

الهوا جواه نسبة عوادم..

الزرع جواه نسبة كيماوي..

دور على المفيد فينا.. لأن كلنا جوانا نسبة سم !!!

فين الشاي!

غرفة العظام ـ كل واحد ممسك بمستلزمات التجبيس التي اشتراها على حسابه ... إللي ينادي عليه الدكتور ييجي يتجبس ... يدخل لعم محمد يجبسه.. عم محمد مابيعملش حاجة ببلاش !.. انتهى من عمل جبس لقدم سندس.. حملتها وفاء والدموع في عينيها.. أراد كريم أن يحمل سندس فرفضت وفاء.. لأن أخاها قد وصل لتوِّه ـ فأخذ سندس ووفاء ورحل.. وظل كريم وحيدًا.. انتهى من عمل تجبيس لقدم هيثم.. الذي لم يشتر مستلزمات الجبس.. لكن أخرجها عم محمد بطريقته!

دسوقي (يكلم ابنه): شوفت آخرة لعب الكورة.. رجلك إتجبست.

عم محمد: على فين يا باشمهندس.. ألف سلامة على الأمُّور.

دسوقي: الله يسلمك متشكرين تعبناك.

عم محمد: مافيش تعب ولا حاجة.. مش هاتشربني شاي!

يفهم الرجل ـ ويضع يده في جيبه.. ويعطي عم محمد فلوسًا.

دسوقي: بس أنا شوفتك قبل كده.. إستنى كده إنت محمد التوني ـ مدرسة النيل .

عم محمد: إنت محمد دسوقي ... يا دنيا !!! (يحضنه) ملعوبة مِنَّك .

احتضنه محمد بقوة ـ. لم يصدق أنه يقف أمام صديق الطفولة.. فاحتضنه مبتسمًا مرة أخرى.

دسوقي: طمني على أحوالك .

عم محمد: أنا زي المستشفى إللي انت فيها ... من برا رخام ـ ونافورة ـ

وورد ـ ومن جواها خرابة! .

دسوقي: من صغرك وإنت فيلسوف (يضحكان) بس الناموس عندكم جامد قوي .

عم محمد: معاكوا إنتوا بس الزباين.. إنما إحنا صحاب بيت.

يضحكان ـ يقطع الضحك صريخ هشام على موت أخيه إسلام.. أثناء نقله من العناية للثلاجة.. يلتفت دسوقي خوفًا ـ ممسكًا بيد ابنه:

عم محمد: ماتخافش أوي كدا يا دسوقي.. تلاقي حد مات.. الموت هنا مجاني.. زي عشا الناموس المجاني.. بياكل فينا ببلاش.. يمص دمنا صيف وشتا.. وعمره ما هايمشي.. تعرف ليه؟ (دسوقي لا يرد) ما دام كل يوم فيه زباين جديدة ـ دمهم سخن ولذيذ.. يبقى هو مش هايمشي.. إحنا زي أي أكلة سخنة في الشتا.

نظر دسوقي إلى صديق الطفولة نظرة حزينة جدًّا.. بينما كان عم محمد يتكلم مبتسمًا.. لا يوجد أي شيء ممكن أن يقال.. فانصرف دسوقي.. ليذهب خلفه عم محمد ـ ويعطيه نقوده.. ويضحك.

(الشاة المذبوحة لا تتألم من السلخ)

حكمة عربية

ماركوفين

نظر إليه آخر نظرة.. وكأنه أصابه سهم مسموم.. الدموع أغلقت عينيه.. وكان يريد أن ينفجر في البكاء ويصرخ.. ولكنه أمسك تليفونه.. وفتح الفيس بوك.. وكتب بوست عميق !!!

صدفة

عاد مؤمن إلى الطوارئ مرة أخرى ـ ومعه دعاء وأمها ـ بعد عمل حقن لدوالي المريء.. وهي تحتاج إلى نقل دم.. استطاعت الدكتورة رضوى توفير كيس دم من نفس الفصيلة.. والآن مؤمن وجد خالد صديقه يحمل روشتة كبيرة من الطلبات.. المكان مليء بالألم والدموع.. هُنا الوقت لا يمر ولا يتحرك.. الدقائق ثقيلة.. ولكن مؤمن كان سعيدًا ومبتسمًا.. كأنه في حديقة ممتلئة بالزهور.. لا يشعر بأي شيء.

مؤمن (يضع يده في جيبه): خد يا خالد دول خليهم في جيبك.. معلش إتاخرت عليك ـ كنت مع دعاء.

خالد: حبيبي يا مؤمن معايا ٢٥٠ جنيه ـ لو إحتجت زيادة هاخدهم منك.. دعاء مين ؟

مؤمن: إمسك يا خالد إنت فاكر إن الحاج محسن ده أبوك لوحدك ده أبويا أنا كمان.. ياما وقف جنبي وساعدني من غير ما تعرف.. ياما أكلت ونمت عندكم.. دعاء اللي أمها رجعت دم.. أنا كنت معاها .

خالد ينظر لصديق عمره نظرة.. كانت تكفي ليفهم كل ما دار بينهما.. بينما هما في طريقهما للخروج ـ ينادي صوت غليظ من الخلف.. يا خالد.. يقف خالد ومؤمن ـ وكأن أرض الطوارئ أصبحت مفروشة بغراء كثيف.

الرجل: بتعمل إيه هنا ؟

خالد (يرد بعدم اهتمام): أبويا عنده جلطة على المخ .

الرجل: يا ساتر يا رب.. ألف سلامة .

خالد: دي خامس جلطة في الأربع سنين إللي فاتت .

الرجل: يااااااه . خامس جلطة . سبحان الله !

خالد (بقرف): أبويا قاعد على كرسي متحرك . مشلول من تسع سنين بسبب عملية إتعملت غلط .

الرجل: معلش أنا مش متابع بس هابقى أكلمك .

يتركهم الرجل دون أن يأخذ رقم خالد حتى.. خالد وقف غاضبًا.. وتغيرت حالته تمامًا.

مؤمن: مين الرجل ده؟ شكله مش غريب عليا ؟

خالد: ده عمي !!!

شعر بأن الدم توقف عن السير في عروقه.. وتجمدت ملامحه.. ولكنه ظل مبتسمًا حتى لا يُشعر خالد بأن الصدمة ثقيلة.. فنظر في الجانب الآخر.

خالد: أخو أبويا.. ساكن جنبنا.. وشغال في المستشفى.

حاول مؤمن أن يغير حالة خالد النفسية . فوضع يده على كتفه.

مؤمن: ليلة أبوك النهاردة شكلها مطولة . وإنت ملزم تعشيني أنا ودعاء . زمانها جعانة.. وتجيبلي سجاير. إنت أخدت كل فلوسي.. لما أنا عملت فيها جدع وصاحب صاحبه من شوية.. قبل ما الراجل إللي بالع ضفدعة في حنجرته يقفشنا.. (تتغير طريقة مؤمن) يا عم ولا تزعل نفسك كل عيلة فيها بلاوي بس ماشية . وكله عامل مبسوط.. إخلص . هاتجيب عشا وسجاير ولا هاتطلع واطي زي عمك إللي لسّا ماشي ؟.. إضحك يابن الكئيبة بقى.. روح هات العلاج وأنا مستنيك هنا مش هاينفع أسيب الجماعة . لوحدها.. دعاء بتحب عصير التفاح (يضحك خالد لصديقه)

عرف الضحك طريقه في هذا المكان الكئيب.. ذهب خالد.. وظل مؤمن ودعاء واقفين في الخارج.. . بدأ الليل في لملمة ثوبه الأسود راحلًا عن الطوارئ.. كان المكان في الخارج باردًا جدًّا.. وتكونت بركة واسعة من المياه من أثر الأمطار.. ومع أول ضوء نهار اقتحم مبنى الطوارئ.. ظهر في المشهد بعض سائقي السيارات الأجرة.. يدخنون السجائر.. في انتظار الزبائن.

مؤمن: كنا بنقول إيه يا دعاء قبل ما نشوف خالد الكئيب صاحبي .. آه.. بعدها سبت الشغل ورحت شغل تاني أحسن منه.. بطلع منه على شغل تاني.. يعني اختصار الكلام .. الواد اللي قدامك ده بتاع شغل.

دعاء: شكرًا على كل حاجة عملتها معايا الليلة.. أنا معايا رقمك.. هادبر الفلوس وهاكلمك.

مؤمن ينظر في عينيها: هو انتي عينيكي خضرا!؟

تضحك وتضع وجهها في الأرض.. ظل كل منهما ينظر للآخر.. تحركت داخلهما مشاعر صادقة.. لا يوجد ازدحام.. ولا عربات إسعاف.. صوت أنغام صادر من كافتيريا الطوارئ: مش هاندخل نطمن على ماما .

مؤمن: دعاء أنا مش عارف هاتصدقيني ولا.. لأ.. أنا بحبك .

نظرت دعاء باندهاش وهي تسمع صوت أنغام:

في جوه في قلبي مكان مفتحتوش يوم غير ليك..

وحاجات حصلتلي معاك ومحصلتليش قبليك..

مابقيتش بخاف وأنا عامله حبيبي لبكره حساب..

وإن خفت في لحظه بيبقى الخوف يا حبيبي عليك..

أنا ساندە عليك.

اقترب مؤمن منها.. وقال لها بصوت خافت: بحبك..

فأشرقت الشمس في وجهها.. كان يمر بجوارهما حسن ورحمة.. في طريقهما للخروج.. فنظرت رحمة إليهما وابتسمت.. لأنها تدرك قيمة هذه اللحظة.

(اللحظاتَ الجميلةَ لا تَنسى.. حتَى لو كانتَ قَصيرةَ)

(تَشارلي شابلـن)

بلاي ألكوفان

(بعنف)

- **أنا بعمل في نفسي كدا ليه؟ وآجي على كرامتي ليه يعني ؟.. لا عارف أشتغل ولا عارف أنام.. هاتجنن من التفكير.. بلف حوالين نفسي زي المجنون.. بعمل حساب كل حاجة.. وللأسف مابتحصلش أي حاجة.. كرهت الشغل.. والموبايل.. والخروج..**
- **بتحبها**
- **آه !!!**

مذكرات

الدكتورة سعاد

بعد ليلة طويلة في الطوارئ.. أخيرًا جلست الدكتورة سعاد في مكتب بسيط للأطباء تستمتع بضوء الشمس.. رحل الجميع.. عاد الهدوء للمكان.. فتحت درج مكتبها لتكتب آخر مذكراتها؛ فاليوم هو آخر يوم عمل لها في الطوارئ.. كانت سنة قاسية ـ تعلمت فيها سعاد الكثير.. رغم أنها مدللة ـ قلبها البسيط وصدق مشاعرها كانا كافيين لأن يقترب منها الجميع..

وضعت أمامها الورق ـ أخذت تكتب كل ما تعلمته في الطوارئ.. كي لا تنسى:

- شوفت ناس تقضي الليلة مستنية ناس كتير تجيلها تطمن عليها وخصوصًا بعد البوست إللي قالوا فيه إنهم في الطوارئ.. تعبانين.. مافيش حاجة بتحصل غير إن عدد اللايكات والكومنتات بيزيد بس.. كل مشكلة الطوارئ تتلخص في حاجة واحدة.. إن في ناس.. ضميرها مات.

كتير أوي من الناس اللي أعرفهم في حياتي.. بيدوروا على حاجات تضيَّع الوقت.. شوفت في الطوارئ ناس الوقت داس عليهم برجليه .

استغربت النهارده لما زمزم قالتلي اللي عمله الدكتور وليد مع مريم اللي كان بيحبها.. لما عمل المستحيل مع واحدة مابتحبوش.. شافت ضحكته تافهة.. وعينيه غيوم.. وإيده قضبان سجن.. وحضنة منفى.. وضحكت على

مشاعره.. فحس إن الدنيا غلبته.. ماعرفش ليه لما عرفت اللي حصل من زمزم فرحت.. ولغاية دلوقتي فرحانة.

طارق كمان ماكانش الليلادي يتخيل إنه هايخسر رضوى.. شوفت في عينين طارق ألم رهيب زي لما مفعول المخدر ينتهي بعد العملية.. بس رضوى بتقول إن الليلادي هي طلعت كسبانة!.. لما بفكر بعقلي بقول إن رضوى صح بس القرار كان صعب مش سهل.. لأنها رجعت من الكافتيريا منهارة ـ وجسمها بيترعش.. كان طارق طول الوقت بيشتكي من رضوى ..فعلًا مش كل إللي اشتكى من حد ـ مظلوم.. ولا كل إللي سكت وماشتكاش ـ ظالم.. لازم كنت أسمع من الطرفين.

استغربت من صراخ حسن ـ الجنوني ـ على رحمة لكن بعد ما إطمن عليها ـ سألته.. إيه أكتر حاجة بتحبها في رحمة.. عملت إيه في حياتك.. قالي: حبتها لأنها قلبها صافي ونضيف ـ شبه قلب الأطفال.. عفوية بزيادة ومجنونة ودمها خفيف.. مش متكلفة.. طبيعية زيادة عن اللزوم.. أقل حاجة تفرحها.. إللي زي دي بقت عمله نادرة.. علشان كدا بحبها.. أنا الحياة بالنسبالي رحمة بس.. شوفت عينين رحمة بتضحك ـ رغم كل إحساس الألم اللي كانت فيه.

شغل الدكتور في الطوارئ كفاح ـ وتعب ـ وضغط نفسي ـ وتركيز.. الخوف من المستقبل فكرة بتجري ورانا بكل سرعتها.. مافيش حاجة تطمن.. نِفسي الناس ماتجيش علينا

من أغرب المواقف اللي قابلتها في حياتي عم فتحي وبنته أمنية ـ والحب اللي ما بينهم.. وموقف باقي العيلة منه ـ من كره وغل.. إللي عايز يخسرك خسرك من قبل ما تحس إنت بكده.. وقتها بيبقى الكلام مالوش لازمة..

الموضوع انتهى.. عم فتحي راجل عظيم.

مفاجأة إن هشام أخوه اتوفى كانت صعبة عليهم قوي.. أكتر حاجة وجعت هشام إن إسلام مات وهو زعلان منه.. وسط صراخ هشام وفردوس على أخوهم.. شوفت واحد بيسرق شاش وقطن وكحول لمراته التعبانة.. سيبته يسرق ـ كان صعبان عليَّا.. زي دموعي لما نزلت بسبب حمص ـ الراجل قطع ودنه.. كان نفسي أحضن ندى اللي جوزها دمرها بالخيانة.. وليد حكالي عن عم عربي اللي كان بيشتم.. فضل يكلم نفسه

طول أيام شغلي في الطوارئ.. وقعت ووقفت تاني.. إتهزمت وكسبت.. دموعي نزلت كتير وضحكت أكتر .. شعور عظيم إنك تخفف ألم حد ماتعرفوش ومحتاجلك .. عمري ما حسيت نفسي دكتورة.. قد ما باحس إن ده دوري في الحياة.. كل الأحلام إللي بجري وراها.. هي كمان بتجري مني.. هافضل أجري لغاية ما أمسكها.. الحقيقة المنفردة

(الحياة مابتظلمش حد على طول.. في أسوأ الأحوال بتدينا فرصة تانية)

أنا اتعلمت كتير.. ولسة هاتعلم.

يطرق الباب.. الدكتور وليد مبتسمًا.. ينظر إليها بإعجاب.. تغلق المذكرات.. وترجعها للدرج .

وليد: صباح الخير يا سعاد أنا طالع أفطر ـ تحبي نفطر سوا ؟

تقف سعاد في مكانها.. ينطبع على ملامحها أنها لا تفهم ما يقول.

وليد: يعني نقعد في الكافتيريا.. نفطر ونشرب حاجة.. ونتكلم ..لسا كلام كتير عايز أقوله بما إن النهاردة آخر يوم لينا في الطوارئ.

ظلت صامتة ثم ابتسمت: بس أنا اللي هادفع.

خرجا من مبنى الطوارئ، وعندما واجها شعاع الشمس لأول مرة أغمضا أعينهما للحظات.. لا يوجد أحد بالكافتيريا . فجلسا في جانب يسمعان دندنة صوت أنغام.. يتحدثان أن ليلة الأمس.. كانت ليلة هادئة بدون صدمات.. فأخذا يتذكران.. أن هناك ليالي مرت بهما كانت أصعب من تلك الليلة .. وضع عامل الكافتيريا الإفطار والشاي أمامهما.. وبعدها نظرت سعاد إلى وليد.

سعاد: ها يا سيدي أنا سمعاك.. قول الكلام الكتير اللي عايز تقوله .

وليد: كلام إيه اللي هاقوله.. أنا كنت عايز حد يفطر معايا مش أكتر.

سعاد: طيب يا وليد شكرًا على الفطار (تقف).

وليد: عارفة يا سعاد أنا عايش لوحدي بعد وفاة ماما.. ومحتاج.. أفضفض.. الفضفضه علاج.. محتاج واحدة تبص في عينيا تطمني.. تمسح دموعي ..ضحكتها ماتسبش وشها.. وتقولي مش عايز أي حاجة.. ترجعلي بالسلامة.. تطمني تقولي ماتخفش أنا جنبك.. كله هيعدي .. اللحظات دي بتقول حاجات كتير.

سعاد تنظر باستغراب.. ولكن من داخلها تشعر بسعادة غامرة.

سعاد: أنا هامشي.. علشان عايزة أنام.

وليد: تتجوزيني.. وهانبدأ من الصفر.

ذابت خجلًا واحمر وجهها.. ولكن ظلت مبتسمة.. لا تستطيع الرد.

وليد: بحبك.. أول مرة أقولها من تمن سنين.

ابتسم وليد . ونظر لها . ولكنها ظلت تنظر بوجهها إلى الأرض.. كان كل

شيء داخل الكافتيريا يدفعها للسعادة.. كان صوت أغنية أنغام سعيدًا، أول مرة هذه الليلة تذوب مع كلمات الأغنية.

بحبك ..وحشتيني.. أنا آسف على التأخير..

مليش بعدك يا نورعيني.. حاجات لازم تقولها كتير..

بحبك.. وحشتيني..

أنا آسف.. عشان قلبي عليك يرضى

ومتخليش هواك يهدى

ده من غيره الحياة بارده

قطع سماع الأغنية ـ وليد ـ وهمس لها.. بتحديد ميعاد لزيارة الوالد.. ثم أكملت أنغام.. وهما يمشيان في طريقهما للخارج.. خارج حدود مبنى الطوارئ.. توقفت سعاد أمام الباب الخارجي.

سعاد: أنا بحبك يا وليد !!!.. وأول مرة أقولها في حياتي.

الأسبرين

الحياة.. بكل جنونها وطيبتها وشرها وخيرها وناسها وفرحها ووجعها..
أنا لسّا مكمل وقادر أتنفس واحلم ومش هاستسلم وهاخطف من الدنيا أحلامي .

شكر خاص جدًا

- د . سعاد محمد سكر
- د. رضوى حسن
- أ. سامح القليعي
- أ. جوي ذكي
- د. منار عبد الإله
- م. مارك مفيد
- د. وليد الرفاعي
- م . محمد السماحي
- د. مي المغربي
- أ. يحيى المصري

التواصل مع المؤلف

ميشيل منير سلامة

تليفون: ٠١٢٢٩٩٧٠٨٦٦ /٠١٢٢٢٣٩٤٦٢٠

الإيميل: masraah8@gmail.com